حكم الزواج من زوج لا يصلي

مجلة إسلامية. ثقافية. شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

التوحيد

السنة الثانية والثلاثون - العدد الرابع - ربيع آخر ١٤٢٤هـ - الثمن ١٠٠ قرش

فتنة الاستخلاف

النائمون عن صلاة الفجر

البيعة على الإسلام

الإسلام الديمقراطي

دفع الأموال لتسهيل المصالح

منزلة النبى صلى الله عليه وسلم

التوحيد

• صاحبة الامتياز •

جماعة أنصار السنة المحمدية

المشرف العام

د. جمال المراكبي

اللجنة العلمية

زكريا حسيني

جمال عبد الرحمن

مجدي عرفات

التنفيذ والطباعة

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

حكم الزواج من زوج لا يصلي

التوحيد

فتنة [illegible]

النائمون عن صلاة الفجر

الهيمنة على الإسلام

دفع الأموال لتسهيل المصالح

منزلة النبي صلى الله عليه وسلم

صورة الغلاف

مع القراء

عزة المستعصمين بالله

أرسل أذفونش ملك الروم رسالة إلى السلطان المظفر ابن الأفطس فكتب إليه السلطان:

وصل إلى الملك المظفر من عظيم الروم كتابٌ مدّعٍ في المقادير، يرعد ويبرق، ويجمع تارة ويفرق، ويهدد بالجنود الوافرة، ولم يدْرِ أن لله جنودًا أعزَّ بهم الإسلام، وأظهر بهم دين نبينا عليه الصلاة والسلام، يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم.

فأما تعييرك للمسلمين فيما وَهَنَ من أحوالهم، فبالذنوب المركوبة، والفِرَق المنكوبة، ولو اتفقت كلمتنا علمْتَ أيَّ صائب أذقناك، كما كانت آباؤك مع آبائنا، ونحن وإن قَلَّتْ أعدادُنا وعُدِمَ من المخلوقين استمدادُنا، فما بيننا وبينك بحر نخوضه، ولا صعب تَرُوضُهْ إلا سوف يشهد بِحَدِّها رقابُ قومك، وجِلادُ تبصره في يومك، وبالله وملائكته نتقوى عليك، ليس لنا سواه مطلب، ولا إلى غيره مهرب، وهل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين، شهادة، أو نصر عزيز.

التحرير

التحرير / ٨ شارع قوله - عابدين - القاهرة ت: ٣٩٣٦٥١٧
المركز العام: القاهرة - ٨ شارع قوله - عابدين

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام
وفروع أنصار السنة المحمدية

البريد الإلكتروني

المجلة	Mgtawheed@hotmail.com
رئيس التحرير	Gshatem@hotmail.com
التوزيع والاشتراكات	see@islamway.net
موقع المجلة على الإنترنت	www.altawhed.com

ثمن النسخة:

مصر جنيه واحد، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، العراق ٧٥٠ فلساً، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني.

الاشتراك السنوي:

١- في الداخل ١٥ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).

٢- في الخارج ٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالاً سعوديا أو ما يعادلها.

ترسل القيمة بحوالة بنكية أو شيك. على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

في هذا العدد

لافتتاحية: الجهاد في سبيل الله — د. جمال المراكبي ٢
كلمة التحرير: — رئيس التحرير ٥
اب التفسير: سورة المنافقون — د. عبد العظيم بدوي ٩
اب السنة: البيعة على الإسلام — زكريا حسيني ١١
اب منبر الحرمين: فتنة الاستخلاف — صلاح بن محمد البدير ١٥
لأخلاق في الإسلام: السماحة — عاطف التاجوري ١٩
نظرات على فهم النص: الحلقة الرابعة — متولي البراجيلي ٢١
توحيد الألوهية — أسامة سليمان ٢٣
فضل أهل البيت وعلو مكانتهم — أ.د عبد المحسن العباد ٢٦
لإعلام بسير الأعلام: أبو عمرو بن العلاء — مجدي عرفات ٣٠
حوض النبي صلى الله عليه وسلم — صلاح عبد الخالق ٣٢
الحوقلة — أ. د عبد الرازق عبد المحسن العباد ٣٥
لواحة — التحرير ٣٦
اب السيرة: قصة موسى والخضر عليهما السلام
عبد الرزاق السيد عيد ٣٨
نصار السنة المحمدية — معاوية محمد هيكل ٤١
الإسلام الديمقراطي — محمد رزق ساطور ٤٥
قرأ من مكتبة المركز العام — علاء خضر ٤٧
طفال المسلمين — جمال عبد الرحمن ٥٠
سئلة القراء عن الأحاديث — أبو إسحاق الحويني ٥٣
الفتاوى — لجنة الفتوى ٥٧
تاوى ابن عثيمين — ابن عثيمين ٦٠
منزلة النبي صلى الله عليه وسلم — شوقي عبد الصادق ٦٢
من روائع الماضي: الإيمان بالله من أسباب النصر
محمد محيي الدين ٦٥
تحذير الداعية: قصة السفياني والرئيس العراقي — علي حشيش ٦٩
رحمة الإسلام — مصطفى سيد عارف ٧٢

فاكس: ٣٩٣٠٦٦٢ **قسم التوزيع والاشتراكات** ت: ٣٩١٥٤٥٦
هاتف: ٣٩١٥٥٧٦ـ ٣٩١٥٤٥٦

افتتاحية العدد

الجهاد في سبيل الله

الحلقة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد:

تحدثنا في المقال السابق عن الجهاد في سبيل الله تعالى؛ مراتبه، وأولوياته، وعن أسباب النصر والهزيمة، وكذلك التربية والإعداد قبل الجهاد، وحكم الجهاد، ومتى يتعين.

واليوم نكمل- إن شاء الله- فنقول مستعينين بالله:

حكمة تشريع الجهاد

للجهاد فوائد كثيرة، وحكم جليلة منها:

١- إظهار دين الله وإعزاز المسلمين وقمع الكافرين، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩].

٢- كسر شوكة المشركين، وتحقيق الأمن للمسلمين، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وقال النبي ﷺ: «ليُتمن الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب من بُصرى إلى صنعاء لا يخشى إلا الله».

٣- تمكن المسلمين من القيام بمصالح دينهم ودنياهم، ودعوة غير المسلمين لما فيه خير الدنيا والآخرة.

روى البخاري في صحيحه- كتاب الجزية والموادعة- من حديث جبير بن حبة قال: فندبنا عمر، واستعمل علينا النعمان بن مقرن، حتى إذا كنا بأرض العدو، وخرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفًا، فقام ترجمان فقال: ليكلمني رجل منكم، فقال المغيرة: سل عما شئت. قال: ما أنتم؟ قال: نحن أناس من العرب كنا في شقاء شديد، وبلاء شديد، نمص الجلد والنوى من الجوع، ونلبس الوبر والشعر، ونعبد الشجر والحجر، فبينا نحن كذلك إذ بعث رب السماوات ورب الأرضين تعالى ذكره وجلت عظمته إلينا نبيًا من أنفسنا، نعرف أباه وأمه، فأمرنا نبينا رسولُ ربنا ﷺ أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده، أو تؤدوا الجزية، وأخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم يُر مثله قط، ومن بقي منا ملك رقابكم. [ح٣١٥٩].

فضل الجهاد

الجهاد خير العمل، وذروة سنام الإسلام.

والنصوص في فضل الجهاد والمجاهدين أكثر من أن تحصى:

١- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

٢- وقال تعالى: ﴿لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ

بقلم

د. جمال المراكبي

وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٩٥) دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦].

٣- وقال تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤].

٤- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠-١١٣].

أما عن الأحاديث فهي كثيرة، نشير إلى طرف منها:

١- سُئِل رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ فقال: «إيمان بالله ورسوله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور». متفق عليه.

٢- وقال رسول الله ﷺ: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله». الترمذي.

٣- وقال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة، وفوقه عرش الرحمن منه تفجر أنهار الجنة». رواه البخاري.

٤- جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد. قال: لا أجده، هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر؟ قال: ومن يستطيع ذلك؟

إعداد العدة للجهاد

الجهاد بمعناه العام يستلزم وحدة الصف المسلم والاعتصام بحبل الله جميعًا، والعودة إلى صحيح الدين ونبذ البدع المضلة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، وقال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٢- ٤].

فربط المولى تبارك وتعالى في هذه السورة بين النصر ووحدة الصف. وأي تصور للجهاد بدون الصف والوحدة وإعداد العدة وهم وخيال، ولهذا

للجهاد فوائد كثيرة وحكم جليلة منها: إظهار دين الله وإعزاز المسلمين وقمع الكافرين

من أصول أهل السنة والجماعة الجهاد مع كل إمام؛ برا كان أو فاجرا وإلا عمت المفسدة بترك الجهاد وتفرق المسلمين

في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض

أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة ونبذ كل سبيل إلى الفرقة، فإن لم تكن جماعة ولا إمام كان الأمر باعتزال الفرقاء والعضُ على السنة بالنواجذ حتى الموت.

وقد ورد ذلك في حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر؟ قال: «نعم». فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخن». قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر». فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها». فقلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: «نعم، قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا». قلت: يا رسول الله، ما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك». متفق عليه، واللفظ لمسلم.

ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة الجهاد مع كل إمام برًا كان أو فاجرًا، وإلا عمت المفسدة بترك الجهاد وتفرق المسلمين.

وفي الحديث الصحيح: «الإمام جُنة يقاتل من ورائه ويُتقى به، فإن أمر بتقوى الله عز وجل، وعَدَلَ، كان له بذلك أجر وإن يأمر بغيره كان عليه منه». مسلم.

فالإمام جنة أي ستر، يمنع العدو من أذى المسلمين، ويمنع الناس بعضهم من بعض، ويحمي بيضة الإسلام، ويتقيه الناس ويخافون سطوته، ويقاتلون معه الكفار والبغاة والخوارج وسائر أهل الفساد وينصرون عليهم ويتقى به شر العدو، وشر أهل الفساد والظلم مطلقًا.

ماذا لو تركت الأمة الجهاد في سبيل الله؟

لو تركت الأمة الجهاد في سبيل الله فرطت في أهم أسباب العز والغلبة، وجعل الله بأسها بينها شديدًا، وسلط عليها من يسومها سوء العذاب، وتداعت عليها الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٨- ٣٩].

وقال رسول الله ﷺ: «إذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة، وتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله، أدخل الله عليهم ذلاً لا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم». [صحيح الجامع]

وفي رواية: «لئن تركتم الجهاد وأخذتم بأذناب البقر وتبايعتم بالعينة ليلزمنكم الله مذلة في رقابكم لا تنفك عنكم حتى تتوبوا إلى الله وترجعوا إلى ما كنتم عليه». [رواه أحمد وأبو داود والطبراني، وصححه الألباني في صحيح الجامع]

وقال رسول الله ﷺ: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها». قالوا: أو من قلة نحن يا رسول الله؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكن غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة من قلوب عدوكم، وليجعلن في قلوبكم الوهن». قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت». رواه أحمد.

الجهاد يستلزم وحدة الصف المسلم والاعتصام بحبل الله، والعودة إلى صحيح الدين ونبذ البدع المضلة

كلمة التحرير

بقلم
رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

محن وابتلاءات.. وكيد ومؤامرات

الحمد لله خلق فسوى وقدر فهدى.. وسبحانه فهو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، خلق الخلق فلا يزال لأمرهم مدبرًا لم يعتزل كونه، ولم يكل لأحد ملكه .. وبعد.

ففي زمن الإحباط واليأس وفي سنوات الشدة والبأس، في عصر تقلبات القيم والموازين، وفي أوقات نُكّست المبادئ والمفاهيم، في ساعات قعقعة السّلاح، واسترخاص المهج والأرواح، في زمن قهر الأقوياء للضعفاء، واستطالة الأغنياء على الفقراء، في موج هذه الحضارة ولجُجها، ما أحوج الأمة إلى أن ترسي مركب حضارتها على ضفاف المبادئ النبيلة، فتُضمِّد على تلك الضفاف المواجع والجروح، وتتسامى بنبيل الصفات النفس والروح، أما أن لتلك الأمة أن تسائل نفسها لماذا تغدو الهموم عن حياتهم ولا تروح؟ لِمَ استُلبت من الأمة حضارتها، وفقدت لُبها وغابت روحها وجوهرها، وغيبت قيمها وأخلاقها، وجفت الحياة، واكتأبت النفوس وعلا بثها؟

حاجة المسلمين إلى مراجعة أنفسهم

فمهما حاول أعداء الإسلام ومهما سعوا في إنزال أنواع الفشل، وألوان الشلل بالإسلام والمسلمين، فلن يستطيعوا أن يطفئوا نور الله، يقول جل في علاه ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف:٨].

وعن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر» [أخرجه أحمد والبيهقي وصححه الألباني]

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها»

[أخرجه مسلم في الفتن].

فما أحوج المسلمين اليوم في زمن عظمت فيه المصيبة، وحلت به الرزايا العصيبة، وتخطفت عالم الإسلام أيدي حاسديه، ونهشته أيدي أعاديه، فالكرامة مسلوبة، والحقوق منهوبة والأراضي مغصوبة، ما أحوج المسلمين في زمن الحوادث والكوارث إلى أن يرجعوا إلى دينهم، ويراجعوا أنفسهم، وأن ينظروا في مواقع الخلل، ومواطن الزلل ويصلحوا ما فسد، ويكونوا وحدة كالجسد، ليغسلوا عنهم أوزار الذل والهوان، ويزيلوا غُصَصَ القهر والخذلان، ويتخلصوا من التبعية المقيتة، والمجاراة المميتة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم» [أخرجه أبو داود في البيوع]

نبذ العداء والبغضاء وتفويت الفرصة على الأعداء

ما أحوج أمتنا الإسلامية في الأيام العصيبة التي تمر بنا وفي زمن مُيِّعَت فيه الحقائق الشرعية وضيعت فيه الثوابت المرعية، في مسارات فكرية مسمومة، ومصطلحات شيطانية مذمومة، واجتهادات عقيمة، وآراء سقيمة، لا تتفق مع الدين الحنيف، ولا مع العقل الحصيف، ما أحوجها في هذا الوقت إلى أن تراجع نصوص الكتاب والسنة، وما أجمع عليه سلف الأمة في قضاياها المعاصرة، ومشكلاتها المحاصرة، لتفهم جذور المشكلات، وأسباب الويلات والنكبات، وتقرأ المتغيرات، وتوجد التحليلات والتعليلات، وتتوقع المستجدات، وترجع إلى أهل العلم الثقات، وتنهض بالمسئوليات والواجبات. بصدق لا يشوبه كذب،

ما أحوج المسلمين اليوم في زمن عظمت فيه المصيبة، وحلت به الرزايا العصيبة، في زمن الحوادث والكوارث إلى أن يرجعوا إلى دينهم، ويراجعوا أنفسهم، وأن ينظروا في مواقع الخلل، ومواطن الزلل

ليس من الانصاف ولا الموضوعية القول بأن مناهج التعليم ووسائل الدعوة هي السبب في انحراف بعض الفئات، فالمناهج والدعوة تطبَّق وتمارس منذ قيام الدولة الإسلامية

وإخلاص لا يخالطه رياء، وتجرد لا يتخلله هوى، وتوحيد لله لا يكدّره شرك ولا شك، وثقة به جل في علاه، لا تهزها أراجيف المرجفين، ولا تخذيل المخذلين، حتى لا تواقع الأمة الأمر المحظور، أو تقترف الخطأ المحذور، يقول جل وعلا: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ..﴾ [النساء: ٨٣].

إن الواجب على أهل الإسلام كلما اشتدت بهم البلايا والرزايا أن يقوى تضافرهم، ويشتد تناصرهم، لنصرة دينهم، وحماية بلادهم، وأن يكونوا صفًا واحدًا متعاضدين، متساعدين متساندين، متعاونين على البر والتقوى، متناهين عن الإثم والعدوان نابذين العداء والبغضاء، حتى يفوتوا على العدو فرصته وبغيته في زرع بذور التمزق، وجذور الفتن قال تعالى: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا. ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال، وإضاعة المال».

أصابع اليهود والأمريكان

إن ما حدث في الأيام الأخيرة من تفجيرات في الرياض والرباط ومناطق شتى من العالم لهو موجة من موجات الإرهاب الذي صنعته أمريكا بأيدٍ يهودية تريد أن تجعل العالم يطوي صفحة من الإرهاب المنظم الذي مارسته قوات التتار في الغزو الأنجلو أمريكي في

اليهود يمارسون أمام سمع العالم وبصره الإرهاب بمختلف أنواعه وأشكاله من هدم وقتل وتدمير وتنكيل. تمارسه عقيدة وسياسة، فأين من يوقف وحشية هذا الإرهاب وبشاعته، ويطارد رجاله وقادته. ويستأصل شأفتهم؟ أين ميزان العدل والإنصاف يا من تدعونه؟

إن ما حدث في الأيام الأخيرة من تفجيرات في عواصم عربية ومناطق شتى من العالم لهو موجة من موجات الإرهاب الذي صنعته أمريكا بأيد يهودية تريد أن تجعل العالم يطوي صفحة من الإرهاب المنظم الذي مارسته قوات التتار في الغزو الأنجلو أمريكي في العراق

العراق معتقدة أن النصر قد حالفها بعد غزوها لأفغانستان ولكن هيهات أن تهنأ أمريكا وبريطانيا وأن يستقر لها حالٌ في أرض وبلد إسلامي. فقد راحت أمريكا تهدد وتتوعد كل من لا يرفع الراية البيضاء مهددة بالويل والثبور كل الدول الإسلامية محاولة لفت أنظار العالم كله إلى مناطق وبؤر صراع جديدة ملتهبة من صنع اليهود وأمريكا. ما بين محاولة للالتفاف على السلطة الفلسطينية وإيقاع الفتن وإشعال الصراع بين الطوائف الفلسطينية واختيار قيادات موالية لها لتتفاوض معها على وهم جديد بعد أوسلو ومدريد وخطة ميتشل، ومؤامرة شارون إلى وهم آخر يسمى خارطة الطريق.

مناهج التعليم ووسائل الدعوة

وتحاول أمريكا ومعها أعداء الإسلام إيهام العالم بأن الإرهاب صنيعة إسلامية ويدها ملطخة بدماء المسلمين في كل مكان من بقاع العالم، مدعية أن المناهج الدينية والتي تدرس يجب تغييرها والمعاهد العلمية يجب إغلاقها. وليس من الانصاف ولا الموضوعية القول بأن مناهج التعليم ووسائل الدعوة هي السبب في انحراف بعض الفئات. فالمناهج والدعوة تطبَّق وتمارس منذ قيام الدولة الإسلامية، فدين الإسلام هو دين السماحة والعدل، وتتازر قوى البغي والكفر للنيل من المسلمين، ويلاقي المسلمون في هذه الأعصار في عدد من الأمصار أعتى المآسي وأدمى المجازر، فظائع دامية، وجرائم عاتية، ونوازل عاثرة، وجراحًا غائرة، وغصصًا تثير كوامن الأشجان، وتبعث على الأسى والأحزان.

إن اليهود يمارسون أمام سمع العالم وبصره الإرهاب بمختلف أنواعه وأشكاله من هدم وقتل وتدمير وتنكيل. تمارسه عقيدة وسياسة، فأين من يوقف وحشية هذا الإرهاب وبشاعته، ويطارد رجاله وقادته. ويستأصل شأفتهم؟ أين ميزان العدل والإنصاف يا من تدعونه؟ أين شعارات التقدم والتحرر والحضارة والسلام، والتي لا نراها إلا حين تصب في مصلحة اليهود؟

الخوف والخطر أن ينال الأمة وعيد الله

إن تنتصر هذه الأمة على نفسها وأهوائها، وتطبق شريعة الله في جميع مناحي حياتها ويستقيم أفرادها على دين خالقها تنتصر على عدوها، وتعلُ كلمتها، ويدُم عزها، وتشتد قدرتها، وتزداد قوتها، وتنفض الوهن عن عاتقها؛ ذلك الوهن الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ بقوله: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة على قصعتها». قالوا: يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: «أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن»، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «حب الحياة، وكراهية الموت» [أخرجه أحمد وغيره]

وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تطرد عنه جوعًا، أو تقضي له دينًا. «من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسرَّ على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».

والله من وراء القصد

سورة المنافقون

الحلقة الأولى

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٣) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٤) ﴾.

إعداد

د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... وبعد :

سورة المنافقون سورة مدنية، واسمها يدل على موضعها، فهي تتحدّث عن النفاق والمنافقين، لتهتك أستارهم، وتكشف أسرارهم، حتى يعرفهم المؤمنون فيحذروهم، إذ أن المنافقين أشدُّ خطرًا وأعظم ضررًا من الكافرين الذين صرحوا بكفرهم وعداوتهم للإسلام وأهله.

ثم خُتمت السورةُ بتحذير المؤمنين من فتنة المال والولد، وأمْرهم بالإنفاق مما رزقهم الله في سبيل الله، قبل أن يفوت الأوان بانتهاء الأجل، فيتحسر الإنسان ويندم على تقصيره ﴿ولَاتَ حِينَ مَنَاص﴾ [ص:٣].

النِّفاق: هو أن يظهر الرجل خلاف ما يبطن. وهو قسمان: اعتقادي وعملي.

فالنفاق الاعتقادي: هوأن يظهر الرجل الإسلام ويبطن الكفر.

والنفاق العملي: هو أن يعمل المؤمن عملا من أعمال المنافقين، فيكون فيه خصلة من النفاق، كما قال ﷺ : «أربعُ مَنْ كنّ فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خصلةٌ منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر».

والنفاق الاعتقادي أعظمُ من الكفر الصريح، ولذا يجمع اللهُ الكافرين والمنافقين في جهنم جميعا، ثم يجعلُ المنافقين في الدرك الأسفل منها، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [النساء:١٤٠]، ثم

قال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء:١٤٥].

أما النفاق العملي فلا يُخرجُ المؤمن من دائرة الإيمان، وإن كانت فيه خصلة من النفاق، لكن يجب على المؤمن أن ينأى بنفسه عن شيم المنافقين.

ولا يجوز اتهام مؤمن بالنفاق وإن كانت فيه خصلةٌ منه، فلا يجوز أن يُقال عن فلان أنه منافق، لكن يجوز أن يُقال: فيه خصلة من النفاق، لأن النفاق محله القلب، ولا يطّلع على القلوب إلا علامُ الغيوب.

والسورة تتحدث عن نفاق الاعتقاد وأهله، وتبدأ بالإخبار عنهم. أنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾، فكذبهم الله في هذه الشهادة، وشهد على كذبهم فقال: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ لأنهم لا يعتقدون بما شهدوا به، وإنما هي كلمة يقولونها بألسنتهم، وحتى لا يتوهَّم متوهِّم أنّ الله كذّبهم في دعوى رسالته ﷺ جيء بهذه الجملة المعترضة ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾، فأثبت سبحانه الرسالة لرسوله ﷺ، وكذّبهم في دعواهم أنهم يشهدون له بها.

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ أي وقاية، يتّقون الناسَ بالأيمان الكاذبة، فإذا ما قالوا قولا، أو فعلوا فعلا يُؤْخَذُ عليهم تنصّلوا منه، وتبرّءوا، بالأيمان الكاذبة، والله ما قلنا، والله ما فعلنا. وربما يعملون العمل السيء ويحلفون أنهم مسلمون، فيغترّ بهم من لا يعرفهم، فيصدّقهم وربما اقتدى بهم، وفي ذلك من الضرر ما فيه، ولذا قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ صدّوا أنفسهم، وصدّوا غيرهم، ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهل هناك أسوأ من الصدّ عن سبيل الله؟ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلامِ﴾؟ [الصف:٧]، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾ أي ذلك الحلف الكاذب والصدّ عن سبيل الله، بسبب أنهم آمنوا بألسنتهم ثم كفروا بقلوبهم ﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ والطَبْعُ هو الختم، وهو أشبه ما يكون بالشمع الأحمر إذا ضُرب على محلٍّ ما، فلا يخرج منه شيء، ولا يدخله شيء، وكذلك الطبع على القلوب - والعياذ بالله - إذا طُبعَ على قلب لا يخرج منه منكر، ولا يدخله معروف، ﴿فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾ فلا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرا.

قال العلماء: لما تحدّث الله تعالى عن المنافقين في سورة البقرة ضرب لهم مثليْن: ناريًا، ومائيًا، فالنّاري هو: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ (١٧) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٧، ١٨].

والمائي: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩) يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٩، ٢٠].

فالنّاري مثل الذين آمنوا ثم كفروا، والمائي للذين هم في ريبهم يترددون ويميلون إلى الإسلام تارة، ويميلون عنه تارة، فهم كالذي يمشي في الظلمات يستضيء بنور البرق ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾، فأما الذين آمنوا ثم كفروا فـ ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لا يُبْصِرُونَ﴾، فهم لما آمنوا خرجوا من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، فلما كفروا رُدّوا في الظلمات، فما هم بخارجين منها، ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾، وذلك من الله عقوبة لهم على تركهم الإيمان بعد أن ذاقوا حلاوته، ورأوا نوره، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥].

ثم وصف الله المنافقين بجمال الصورة، وحلاوة اللسان، فقال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ فهذا حال ما ظهر منهم ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم:٤٣]، يعني لا حياة فيها ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ أي يشبهون الخشب المسنّدة إلي الحائط، في كونهم صورًا خاليةً عن العلم والنظر، فهم أشباحٌ بلا أرواحٍ، وأجسامٌ بلا أحلامٌ، فلا يعجبك جمالُ صورتهم، ولا عذوبةُ منطقهم.

ثم وصفهم الله بالضعف والخور، والجبن والهلع، فقال: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ وهذا حال كل من يخالف فعلَه قوله، خائفون دائمًا، قلقون أبدا، يحذرون أن يُفضحوا، وتكشف أسرارهم، كما قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:٦٤]، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد:٢٩، ٣٠]، ثم حذّر اللهُ نبيه منهم فقال: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ هم العدوّ الكامل العداوة، فاحذرهم ولا تأمنهم وإن قالوا نشهدُ إنك لرسول الله، وإنما حذر الله تعالى منهم لأن الخطر كامنٌ فيهم، وقد أظهروا الإسلام، وهذا يجعل المسلمين قد يأتمنونهم، فحذر الله منهم، وبيّن أنهم هم العدو، وإن قالوا نحن مسلمون.

ثم دعا عليهم، ودعاءُ الله قضاءٌ مبرم، وحكمٌ نافذ، ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ أي أخزاهم ولعنهم وأبعدهم عن رحمته. ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يُصرفون عن الهدى إلى الضلال؟ وكيف تضل عقولهم مع وضوح الدلائل والبراهين؟

والحمد لله رب العالمين

باب السنة

البيعة على الإسلام

> عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال - وحوله عصابة من الصحابة - بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه».
>
> فبايعناه على ذلك.

إعداد / زكريا حسيني

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله الأمين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد..

هذا الحديث متفق عليه؛ أخرجه الإمام البخاري في اثني عشر موضعا من صحيحه؛ أولها في كتاب الإيمان «باب علامة الإيمان حب الأنصار» برقم (١٨)، وفي موضعين من كتاب مناقب الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة وبيعة العقبة» برقمي (٣٨٩٢، ٣٨٩٣)، وفي موضع من كتاب المغازي «باب شهود الملائكة بدرًا» برقم (٣٩٩٩)، في كتاب التفسير، موضع برقم (٤٨٩٤)، «باب إذا جاءك المؤمنات يبايعنك...»، وفي موضعين من كتاب الحدود «باب الحدود كفارة» برقم (٥٧٨٤)، و«باب توبة السارق» برقم (٦٨٠١)، وفي موضع كتاب الديات، «باب قول الله تعالى: «ومن أحياها» برقم (٦٨٧٣)، وفي موضع من كتاب الفتن؛ «باب قول النبي ﷺ: سترون بعدي أمورا تنكرونها» برقم (٧٠٥٥)، وفي موضعين من كتاب الأحكام في باب «كيف يبايع الإمام الناس» برقم (٧١٩٩)، وفي باب «بيعة النساء» برقم (٧٢١٣)، والموضع الأخير في كتاب التوحيد باب «المشيئة والإرادة» برقم (٧٤٦٨).

كما أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الحدود باب «الحدود كفارة لأهلها» برقم (١٧٠٩)، وأخرجه الترمذي في كتاب الحدود باب «ما جاء أن الحدود كفارة لأهلها» برقم (١٤٣٩)، وأخرجه النسائي في كتاب البيعة «باب البيعة على الجهاد» برقم (٤٠٦٦)، وأخرجه الدارمي في سننه (٢/٢٢٠) كما في شرح السنة للإمام البغوي. وكذا أخرجه ابن عبد البر في الاستذكار في كتاب العقول باب «العفو في قتل العمد».

راوي الحديث

هو عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غَنْم بن عوف، الإمام القدوة أبو الوليد الأنصاري أحد النقباء ليلة العقبة، ومن أعيان البدريين، سكن بيت المقدس.

قال ابن إسحاق: عبادة بن الصامت شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. قال الذهبي في السير: قال محمد بن كعب القرظي: جمع القرآن في زمن النبي ﷺ خمسة من الأنصار: معاذٌ، وعبادةٌ، وأبيٌّ، وأبو أيوبَ، وأبو الدرداء.

شرح الحديث

قول عُبادة: (إن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه): العِصَابَةُ والعُصْبَةُ: جماعة ما بين العشرة إلى الأربعين، قال الأخفش: والعصبة والعصابة جماعة ليس لها واحد. [لسان العرب مادة عصب]

قول رسول الله ﷺ: «بايعوني»: وفي رواية «تبايعوني» قال الحافظ في الفتح: زاد في باب «وفود الأنصار»: (تعالوا بايعوني): المبايعة عبارة عن المعاهدة، سميت بذلك تشبيها بالمعاوضة المالية، كما

في قـوله تعـالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ [التوبة:١١١].

قوله: «أن لا تشركوا بالله شيئًا»: هكذا يبدأ النبي ﷺ المبايعة بإخلاص التوحيد لله عز وجل نفي الإشراك به، وقد قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا... ﴾ [النساء:٣٦].

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: .. فالآية أصل في خلوص الأعمال لله تعالى وتصفيتها من شوائب الرياء وغيره، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف:١١٠]، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه».

ثم قال القرطبي: إذا ثبت هذا فاعلم أن علماءنا رضي الله عنهم قالوا: الشرك على ثلاث مراتب، وكله محرم، وأصله اعتقاد شريك لله في الوهيته، وهو الشرك الأعظم وهو شرك الجاهلية، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء:٤٨]. وهو الذي بعث الرسل من أجل نفيه والأمر بتوحيد الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ... ﴾ [النحل:٣٦] ثم قال: ويليه في الرتبة اعتقاد شريك لله في الفعل، وهو قول من قال: إن موجودًا مَا غير الله تعالى يستقل بإحداث فعل وإيجاده وإن لم يعتقد كونه إلهًا كالقدرية مجوس هذه الأمة، وقد تبرأ منهم ابن عمر رضي الله عنهما كما في حديث جبريل عليه السلام. ويلي هذه الرتبة الإشراك في العبادة وهو الرياء، وهو أن يفعل شيئًا من العبادات التي أمر الله بفعلها له لغيره» اهـ بتصرف من تفسير القرطبي.

قوله ﷺ: «ولا تسرقوا»: السرقة أخذ ما ليس له أخذه في خفاء، وصار ذلك في الشرع لتناول الشيء من مكان مخصوص وقدر مخصوص، كما قال الراغب في المفردات. قال النووي في شرح مسلم في باب حد السرقة ونصابها: قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: وصان الله تعالى الأموال بإيجاب القطع على السارق ولم يجعل ذلك في غير السرقة كالاختلاس والانتهاب والغصب(١) لأن ذلك قليل بالنسبة إلى السرقة، ولأنه يمكن استرجاع هذا النوع بالاستدعاء إلى ولاة الأمور وتسهل إقامة البينة عليه، بخلاف السرقة فإنه تندُر إقامة البينة عليها فعظم أمرها واشتدت عقوبتها ليكون أبلغ في الزجر عنها، وقد أجمع المسلمون قاطبة على قطع السارق في الجملة اهـ.

ولقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده».

قوله: «ولا تزنوا»: قال الراغب: الزنا وطء المرأة من غير عقد شرعي، وهو محرم بالكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة. قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: «وأجمع العلماء على وجوب جلد الزاني البكر مائة، ورجم المحصن وهو الثيب ولم يخالف في هذا أحد من أهل القبلة إلا ما حكي القاضي عياض وغيره عن الخوارج وبعض المعتزلة فإنهم لم يقولوا بالرجم. اهـ.

وعلى هذا فمن ينكر الرجم ولا يقول به إنما هو متشبه بالخوارج وبعض المعتزلة، وأما أهل السنة والجماعة فإنهم مقرون بالرجم بفعل الرسول ﷺ، وقد قال بعض منكري الرجم: إنه لا يوجد في كتاب الله تعالى، وإنما الموجود الجلد فقط، ولهؤلاء وأمثالهم نسوق حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه - وهو جالس على منبر رسول الله ﷺ «إن الله قد بعث محمدًا بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان مما أنزل عليه آية الرجم قرأناها ووعيناها وعقلناها، فرجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، وإن الرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحْصَنَ من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف(١)». [أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه ومالك في الموطأ وأحمد في مسنده والدارمي في سننه].

قوله: «ولا تقتلوا أولادكم»: وفي الرواية الأخرى «ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق»؛ قتل النفس حرمه الله تعالى على كل حال إلا أن يكون بحق وهو ما بينه النبي ﷺ بقوله: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة» [أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي وأحمد].

قال الحافظ في الفتح: قال محمد بن إسماعيل التيمي وغيره: خص القتل بالأولاد لأنه قتل وقطيعة رحم فالعناية بالنهي عنه آكد، ولأنه كان شائعا فيهم. وهو وأد البنات وقتل البنين خشية الإملاق، أو خصهم بالذكر لأنهم بصدد ألا يدفعوا عن أنفسهم.

قوله: «ولا تأتوا ببهتان»، قال الإمام الخطابي في كتاب «أعلام الحديث، شرح صحيح البخاري»: البهتان مصدر، يقال: بهت الرجلُ صاحبَه بَهْتًا وبُهْتَانًا، وهو أن يكذب عليه الكذب الذي يبهت من

شدة نكره، ومعناه هنا: قذف المحصنات والمحصنين، وهو من جملة الكبائر التي قرنه بذكرها. وقد يدخل في ذلك الكذب على الناس، والاغتياب لهم ورميهم بالعظائم وكل ما يلحق بهم العار والفضيحة، قال: وإنما ذكر الأيدي والأرجل وليس لها صنع فيما وقع عنه النهي من البهت، وذلك يُؤَوَّلُ على وجهين أحدهما: أن معظم أفعال الناس إنما تضاف منهم إلى الأيدي والأرجل إذ كانت هي العوامل والحوامل، فإذا كانت المباشرة لها باليد والسعي لها بالرجل أضيفت الجنايات إلى هذين العضوين، وإن كان يشاركهما سائر الأعضاء فيها. الوجه الثاني: لا تبهتوا الناس بالعيوب كفاحًا وأنتم حضور يشاهد بعضكم بعضا، قال: وأما قول الله تعالى في امتحان النساء المهاجرات ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ [الممتحنة:١٢]، فإنه يحتمل إضافةً إلى الوجهين السابقين وجها ثالثا لا مساغ له في نعوت الرجال وذلك حملهن ولدًا على أزواجهن ليس منهم ونسبتنه إليهم فيقلن: هذا منكم» اهـ بتصرف.

قوله ﷺ: «ولا تعصوا في معروف»: قال الحافظ في الفتح: للإسماعيلي في باب وفود الأنصار «ولا تعصوني» وهو مطابق للآية (آية الممتحنة) والمعروف: ما عرف من الشارع حسنه نهيًا وأمرًا. وأما على الرواية الأولى: «ولا تعصوا» فقد قال النووي: يحتمل أن يكون المعني ولا تعصوني ولا أحد أولي الأمر عليكم في المعروف، فيكون التقييد بالمعروف متعلقا بشيء بعده، وقال غيره (كما قال الحافظ في الفتح): نبه بذلك على أن طاعة المخلوق إنما تجب فيما كان غير معصية، فهي جديرة بالتوقِّي في معصية الله.

قوله ﷺ: «فمن وفى منكم»: (وفى بالتخفيف، وفي رواية بالتشديد والمعنى واحد) . أي ثبت على العهد واجتنب هذه المنهيات من شرك بالله وسرقة وزنى والإتيان بالبهتان المفترى واجتناب المعاصي عموما، وطاعة الله ورسوله طاعة أولي الأمر في غير معصية الله تبارك وتعالى.

قوله ﷺ: «فأجره على الله» قال الحافظ في الفتح: أطلق هذا على سبيل التفخيم، أي (تعظيم الأجر عند الله تعالى). لأنه لما ذكر المبايعة المقتضية لوجود العوضين أثبت ذكر الأجر في مقابل أحدهما، وأفصح في رواية الصنابحي بتعيين العوض فقال: «الجنة» وعبر هنا بلفظ «على» للمبالغة في تحقق وقوعه كالواجبات، ويتعين حمله على غير ظاهره للأدلة القائمة على أنه لا يجب على الله شيء.

فإن قيل: لِمَ اقتصر على المنهيات ولم يذكر المامورات؟ فالجواب: أنه لم يهملها، بل ذكرها على سبيل الإجمال في قوله «ولا تعصوا» إذ العصيان مخالفة الأمر، والحكمة في التنصيص على كثير من المنهيات دون المامورات أن الكفَّ أيسر من الفعل، ولأن اجتناب المفاسد مقدم على اجتلاب المصالح، والتخلي عن الرذائل قبل التحلي بالفضائل.

قوله ﷺ: «ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب» قال في الفتح: زاد أحمد في روايته «به». وقوله «فهو» أي العقاب (كفارة) زاد في رواية أحمد «له»، وكذا هو للمصنف من وجه آخر في باب «المشيئة من كتاب التوحيد» وزاد «وطَهور».

قال النووي: عموم هذا الحديث مخصوص بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾، فالمرتد إذا قُتِلَ على ارتداده لا يكون القتل له كفارة، قلت (القائل ابن حجر): وهذا بناءً على أن قوله: «من ذلك شيئًا» يتناول جميع ما ذكر وهو ظاهر.

قال القاضي عياض: قال أكثر العلماء: الحدود كفارة استدلالا بهذا الحديث، قال: ومنهم من وقف لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا أدري الحدود كفارة لأهلها أم لا».

قال الحافظ في الفتح بعد أن ساق كلاما طويلا للقاضي عياض اختصره الإمام النووي في شرح صحيح مسلم، قال في الفتح: والحق عندي أن حديث أبي هريرة صحيح وهو متقدم على حديث عبادة، والمبايعة المذكورة في حديث عبادة على الصفة المذكورة لم تقع ليلة العقبة، وإنما كان ليلة العقبة أن النبي ﷺ قال لمن حضر من الأنصار «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم» فبايعوه على ذلك. إلى أن قال: والذي يقوِّي أنها وقعت بعد فتح مكة بعد أن نزلت الآية التي في الممتحنة وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ [الممتحنة:١٢]، ونزول هذه الآية متاخر بعد قصة الحديبية بلا خلاف، والدليل على ذلك ما عند البخاري في كتاب الحدود من طريق سفيان بن عيينة عن الزهري في حديث عبادة هذا أن النبي ﷺ لما بايعهم قرأ الآية كلها.

ثم أطال ابن حجر رحمه الله تعالى في نقل الروايات من البخاري في تفسير الممتحنة، ومن مسلم، وعند النسائي، والطبراني وغيرهم وكلها بألفاظها المختلفة تؤيد أن هذه البيعة التي في حديث عبادة هذا كانت بعد نزول الآية، بل بعد صدور البيعة، بل بعد فتح مكة وذلك بعد إسلام أبي هريرة بمدة، وأيد ذلك بحديث لعبد الله بن عمرو بن العاص وهو ليس من الأنصار وإسلامه قرب إسلام أبي هريرة، وبحديث لجرير، وكان إسلام جرير

متأخرًا عن إسلام أبي هريرة على الصواب. قال الحافظ: «وإنما حصل الالتباس من جهة أن عبادة بن الصامت حضر البيعتين معا، وكانت بيعة العقبة من أجلّ ما يتمدح به، فكان يذكرها إذا حدث تنويها بسابقيته، فلما ذكر هذه البيعة التي صدرت على مثل بيعة النساء عقب ذلك توهم من لم يقف على حقيقة الحال أن البيعة الأولى وقعت على ذلك.

ثم قال الحافظ في الفتح: وعليك برد ما أتى من الروايات موهما بأن هذه البيعة كانت ليلة العقبة إلى هذا التأويل الذي نهجت إليه فيرتفع بذلك الإشكال، ولا يبقى بين حديثي أبي هريرة وعبادة تعارض، ولا وجه بعد ذلك للتوقف في كون الحدود كفارة، قال: واعلم أن عبادة بن الصامت لم ينفرد برواية هذا المعنى، بل روي ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو في الترمذي وصححه الحاكم، وهو عند الطبراني بإسناد حسن من حديث أبي تميمة الهَجْمي، ولأحمد من حديث خزيمة بن ثابت بإسناد حسن وللطبراني عن ابن عمرو مرفوعا.

قوله ﷺ: «فعوقب به» قال في الفتح: قال ابن التين: يريد به القطع في السرقة والجلد أو الرجم في الزنا، قال: وأما قتل الولد فليس له عقوبة معلومة، قلت: (القائل ابن حجر) ولكن قوله في حديث الباب: «فعوقب به» أعم من أن تكون العقوبة حدًا أو تعزيرًا، قال ابن التين: وحكي عن القاضي إسماعيل وغيره أن قتل القاتل إنما هو رادع لغيره، وأما في الآخرة فالطلب للمقتول قائم لأنه لم يصل إليه حق، قلت: (القائل ابن حجر) بل وصل إليه حق وأي حق، فإن المقتول ظلما تكفر ذنوبه بالقتل، كما ورد في الخبر الذي صححه ابن حبان وغيره «إن السيف مَحّاء للخطايا» وكذلك روي هذا المعنى عن ابن مسعود والحسن بن علي وعائشة رضي الله عنهم، ولو كان حد القتل إنما شرع للردع فقط لم يشرع العفو عن القاتل، وهل تدخل في العقوبة المذكورة المصائب الدنيوية من الآلام والأسقام وغيرها؟ فيه نظر، ويدل للمنع قوله «ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله» فإن هذه المصائب لا تنافي الستر، ولكن بينت الأحاديث الكثيرة أن المصائب تكفر الذنوب، فيحتمل أن المراد أنها تكفر ما لا حد فيه، والله أعلم.

قوله: «ثم ستره الله» زاد في رواية كريمة «عليه» أي لم يطلع أحد من الخلق على الذنب الذي فعله مما يستوجب الحد، ولم يقر هو بما حدث منه، فذلك هو الستر المقصود.

قوله ﷺ: «فهو إلى الله» قال النووي رحمه الله: فيه الدلالة لمذهب أهل الحق أن المعاصي غير الكفر لا يقطع لصاحبها بالنار إذا مات ولم يتب منها، بل هو بمشيئة الله تعالى؛ إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه، خلافا للخوارج والمعتزلة، فإن الخوارج يكفرون بالمعاصي، والمعتزلة يقولون لا يكفر ولكن يخلد في النار اهـ، وذكر ابن حجر عن الطيبي قوله: فيه إشارة إلى الكف عن الشهادة بالنار على أحد أو بالجنة لأحد إلا من ورد النص فيه بعينه.

ثم قال الحافظ: واختلف فيمن أتى ما يوجب الحد، فقيل: يجوز أن يتوب سرًا ويكفيه ذلك.

وقيل: بل الأفضل أن يأتي الإمام ويعترف به ويسأله أن يقيم عليه الحد كما وقع لماعز والغامدية.

وفصل بعض العلماء بين أن يكون معلنا بالفجور فيستحب أن يعلن بتوبته وإلا فلا.

قول عبادة رضي الله عنه: «فبايعناه على ذلك» فيه بيان سرعة استجابة الصحابة رضوان الله عليهم لرسول الله ﷺ، حيث طلب الرسول ﷺ منهم بقوله: «بايعوني... إلخ» قال: «فبايعناه على ذلك»، ولم يتلكأ أحد منهم ولا قال: دعني أفكر، بل بادروا رضوان الله عليهم، وهكذا يجب أن يكون شأن كل من آمن بالله ورسوله ورضي بالإسلام دينا أن يستجيب لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ موقنا أن الخير كل الخير في اتباع منهج الإسلام بتوحيد الله عز وجل وعدم الإشراك به، وفي اجتناب المنهيات التي ورد النهي عنها في كتاب ربه عز وجل وسنة نبيه ﷺ وفعل المامورات التي وردت في الكتاب والسنة قال تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢) وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٠ - ١٣٣].

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من المتقين المسارعين في الخيرات، المجتنبين للمنهيات، المؤدين للواجبات، وأن يحشرنا مع المتقين، في زمرة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش:

(١) الاختلاس: هو الأخذ مخاتلةً وخداعًا. والنهب: الأخذ في غير خُفية لمن شاء. والغصب: أخذ الشيء ظلمًا. وكلها تختلف عن السرقة. لسان العرب بتصرف.

(٢) المقصود بالمحصن: كل من سبق له الزواج سواء كانت معه زوجته، أو طلقها أو ماتت عنه.

باب: منبر الحرمين

فتنة الاستخلاف في الأرض

للشيخ / صلاح بن محمد البدير

إمام وخطيب المسجد النبوي

أيّها المسلمون ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٦]، ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ﴾[الشعراء: ١٨٤]، خلقكم الله بقدرتِه، وجعلكم خلائفَ في الأرض بحكمتِه، وسخَّر لكم زينتَها برحمتِه، وبوَّأكم في الأرض تتَّخذون من سهولِها قصورًا، واستعمَركم فيها دُهورًا، بعد أن لم تكونوا شيئًا مذكورًا. بيدِه ملكُ الدّنيا والآخرة وسلطانُهما، نافذٌ أمره وقضاؤه فيهما، لا يمنعه مانع، ولا يحول بينه وبين ما يريد قاطع، ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:٢٦].

استخلفكم الله في هذه الأرض لإقامة أحكامِه، وتنفيذ أوامره، وتحكيم شريعتِه، وتوحيده وطاعتِه، ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١] .هذا هو العهدُ والميثاق، من وفَّى به حصَّل سعادةَ الدنيا وطيبها، وأمن شقاءها وخوفَها، ومن نقضَه لقي وبَيء مخالفتِه وعاقبةَ غوايته وشقاءَ جهالته. ﴿ خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ [الملك:٢]، ليبلوكم أيكم له أطوَع، وإلى مرضاته أسرَع، وعن محارمِه أورع، ﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٨]، ﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴾ [الأنعام:١٣٣]، ﴿ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴾ [النساء: ١٣٣]، قادرٌ عليه، ويسيرٌ عليه، ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ [الأنعام:١٣٤].

تلك حقيقةٌ يبدئ فيها القرآنُ ويُعيد، ويكرِّرها كثيرًا ويزيد، فما أغفلَنا عنها، وما أحوجَنا إليها.

أيها المسلمون، إنَّ نعمةَ الاستخلاف في الأرضِ والعيش في أرجائها والمشيِ في مناكبِها فتنةٌ وابتلاء، وليس أعظم من فتنة النَّعماء وامتحان السراء؛ لأنَّ الرخاءَ يُنسي، والمتاع يُلهي والثَّراء يُطغي، في دُنيا مستطابة في ذوقها، معجبة في منظرِها، مونِقة في مظهرها، الفتنةُ بها حاصِلة، وعدمُ السلامة منها غالبَة، يقول رسول الهدى ﷺ: «إنَّ الدنيا حلوةٌ خضِرة، وإنَّ الله مستخلفُكم فيها فينظرَ كيف تعملون، فاتَّقوا الدنيا، واتَّقوا النساء، فإنَّ أوَّل فتنة بني إسرائيل كانت في النساء» [أخرجه مسلم].

يقول الإمام النووي رحمه الله تعالى: معنى «مستخلفكم فيها» أي: جاعلُكم خلفاءَ من القرون الذين من قبلكم، فينظر هل تعملون بطاعته أم بمعصيتِه وشهواتِكم». [شرح صحيح مسلم (١٧/٥٥)].

أيها المسلمون، ها أنتم خلفاءُ في الأرض للماضين ووُرَّاثٌ للسَّابقين وسُكَّان في بلاد الغابرين، وها هي مساكنُهم عيانٌ للنَّاظرين، ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس:١٤]، كيف تحكمون؟ وأيَّ شيء تصنعون؟ وما تعمُرون؟ تطيعون أم تعصون؟ تتَّقون وتشكرون أم تجحَدون وتكفُرون؟

قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الآية: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾، فقال رضي الله عنه: (قد استُخلفتَ يا ابن أمِّ عمر، فانظُر كيف تعمل)[أخرجه ابن جرير في تفسيره (١١/٩٤)]، وقال رضي الله عنه: (صدَق ربَّنا، ما جعلَنا خلفاءَ إلا لينظرَ كيف أعمالُنا، فأَرُوا الله من أعمالكم خيرًا بالليل والنهار سرًا وعلانية) [أخرجه ابن جرير في تفسيره (١١/٩٤) وفي سنده انقطاع].

ويقول جلّ في علاه: ﴿ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٢٩]، ينظرُ كيف يعمَل الغني في غناه، وذو الجاه فيما أعطاه، وذو الصِّحَّة فيما آتاه، أطاعَه أم عصاه؟ ينظر هل تتصرَّفون في الأرض بالحقِّ أم بغير ما ارتضى؟

أيها المسلمون، لقد استخلفَ الله أُممًا في الأرض سنينَ عددًا، ولبِثوا على هذه البسيطة أمَدًا، فلم يراعوا له عهدًا، وقد أراد بهم ربُّهم رشدًا.

قصَّ الله علينا من أخبارهم وأنبائهم ما فيه عبرةٌ للمعتبرين، وازدجار للظالمين وموعظةٌ للمتَّقين، قال الله عنهم: ﴿ وَمَا وَجَدْنَا

لأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف:١٠٢]، لم يكونوا أوفياء، لم يكونوا أُمناءَ، بل كانوا مَرَقة فَسَقة، خارجين عن الطّاعة والامتثال إلى المعصيةِ والضّلال، أممٌ سادتْ ثمّ بادت، قادت ثم فادَت، ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء:٢٠٧].

فحذار حذار أن يكونَ لنا من حالِهم نصيب، حذار حذار أن تعصُوا الله في بلادِه أو تضادُّوه في مرادِه، فإنَّ الأرضَ لله يورثها من يشاء من عبادِه.

أيها المسلمون، إنّكم ترفلون في نِعم وافرةٍ وخيرات زاخِرة وحياة فاخِرة، مُعجزٌ شكرُها، مُعوزٌ حصرُها، أرزاقٌ دارّة، ومعايش قارّة، تألّقٌ في المطعومات، وتفنُّن في الملبوسات، وتنوّعٌ في الملذّات، فهل قمتُم بشكر من أنعمَ بها واستخلفكم فيها، أم عصيتموه في أرضه وتحت سمائه، وأنتم تنعمون من رزقه وتستمتِعون بنعمه؟!

أيّها المسلمون، من الذي أمَّننا في الدور؟! من الذي أرخى علينا السّتور؟! من الذي صرَف عنّا البلايا والشرور، والفتنةُ حولنا تدور؟! أليس هو الرّحيم الغفور؟! فما لنا قد كثُرت منّا العِثار، وقلَّ منا الاعتبار والادّكار؟! ما لنا لبِسنا ثوبَ العصيان والغفلة والنّسيان؟! غرَّنا بالله الغرور، برجاء رحمتِه عن خوف نقمتِه، وبرجاء عفوه عن رهبةِ سطوته.

ها هي البيوتُ قد مُلئت بالمنكرات فما دفعناها، ها هي المعاصي كثُرت في المجتمعات فما منعناها، ترخُّصٌ بغيض، وتساهلٌ مَقيت، واستهتار مُميت. فأينَ تعظيمُ شعائر الله يا من تعصون؟! أين الوقوفُ عند حدود الله يا من تعتَدون؟! أين الذين هم لربِّهم يَرهبون؟! أين الذين هم من خشيةِ ربِّهم مشفِقون؟! أين الخوفُ والوجل؟! أين الخشيةُ من سوءِ العمل؟! لقد قُوِّض بنيانُ العفاف، وطُوِّحت جُدران الفضائِل، جيلٌ في ريَعان الشّباب وغضاضة الإهاب قد ارتَضع لبانَ سوء، وسقط في مستنقَع موبوء، فمن الذي أوردَه معاطبَ الهلاك؟! من الذي أسقطه في تِلك الأشواك والأحساك؟! ما أشدَّ المفارقةَ وأبعدَ المشابهة بين الأمسِ واليوم، هُوّة عميقةٌ وبَون واسعٌ وفرق شاسع.

أيّها المسلمون، إنَّ أجيالنا اليومَ تتعرَّض لسُعار الفسادِ وطغيان التّغريب وداءِ التّمييع والإهمال، وسيسألنا الله عن تضييع هذه الأجيال، فهل أعددَنا جوابًا؟! وهل سيكون الجواب صوابًا؟! يقول رسول الهدى ﷺ: «كلّكم راع، وكلّكم مسؤول عن رعيّته، فالأمير راع، والرّجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولدِه، فكلّكم راعٍ، وكلّكم مسئول عن رعيّته». أخرجه البخاري.

أيها المسلمون، إذا فشِلنا في هذا الجِهاد جهادِنا مع أنفسنا وإصلاح مجتمعاتنا وأجيالِنا فسنفشل في كلّ ميادين القتال وساحات النزال، إنَّ كلَّ الضّربات الموجِعة والهزائم المتتابعة والنّكسات المُفظِعة التي نتلقّاها يومًا بعد يوم إنّما هي بسببِ إضاعتِنا للعهد الذي استخلفَنا الله لتحقيقه، ومكّننا في هذه الأرض لتطبيقِه.

إنّ على الأمّة أن تطرحَ عنها الأمنَ الكاذب والغفلةَ المردِية، وأن تتّعِظ بتجاربِ البشر، وأن لا تغترَّ بطراءَة العيش ورخاءِ الحياة، فإنّ سنّةَ الله لا تتخلّف ولا تتوقّف، ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف:١٠٠].

فمَن ينصرُنا من بأس الله إن جاءنا؟! فتأهّبوا بالتّوبة، واستحصِنوا بالأوبَة، وكونوا لدين الله أنصارًا، ووالُوا ضراعةً إلى الله وجؤارًا، واستغفِروا ربّكم إنّه كان غفارا. فالتّوبة تدفع عنكم ما لا يدفعه السّلاح، وتمنع عنكم ما لا يمنعه التشدُّق والصّياح، ﴿وَعَدَ

اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور:٥٥] .فالأرض إرثٌ، والمطامع جمَّة، كلٌّ يهشُّ إلى التماس نصيب، وخلائفُ التَّقوى هم ورَّاثُها بالفرضِ والتَّعصيب.

أيها المسلمون، داركم هذه دارُ ممرّ وليست بدار مقرّ، فلا ترضَوا بالدّون وصفقةِ المغبون، وهلمّوا إلى دار الأفراح ولذّة الأرواح، فما متاعُ الحياة الدنيا في الآخرة إلاّ قليل، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤتَى بأنعَم أهلِ الدّنيا من أهل النّار يوم القيامة، فيصبَغ في النّار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيرًا قطّ؟ هل مرَّ بك نعيم قطّ؟ فيقول: لا والله يا ربّ. ويؤتَى بأشدِّ النّاس بؤسًا في الدّنيا من أهل الجنّة، فيصبَغ صبغة في الجنّة، فيقال له: يا ابن آدم، هل رأيت بؤسًا قطّ؟ هل مرَّ بك شدّةٌ قطّ؟ فيقول: لا والله يا ربّ، ما مرَّ بيَ بؤس قطّ، ولا رأيتُ شدّةً قطّ». أخرجه مسلم.

فيا أيها المسلمون، هذا بابُ التَّوبة مفتوح، هذا زمنُ التّصحيح ممنوح، ما لم تغرغِر الرّوح.

أيها التائه في بيداء الغفلات، يا مَن ترخّص لشهواتِه وذلّ لنزغاتِه، يا مَن ألحّت عليه النّصائح فما أقلع، لن تعيشَ الدّهرَ ترأس وتربع، وتنهبُ وتجمَع، وتحرُث وتزرَع، وتأكل وترتَع، وتلهو وتتمتَّع، سوفَ تموت وتسأل عمَّا كنتَ تصنع، و«لن تزولَ قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وماذا عمل فيما علِم؟». [السلسلة الصحيحة (٩٤٦)].

يقول رسول الهدى ﷺ في حديث الرؤية: «...فيلقى العبدَ فيقول الله: أي فُل - أي: يا فلان- ألم أكرِمك وأسوِّدك وأزوِّجك وأسخِّر لك الخيلَ والإبل وأذرْك ترأس وتربَع؟! فيقول: بلى، فيقول: أفظننتَ أنّك ملاقيّ؟ فيقول: لا، فيقول: فإنّي أنسَاك كما نسيتَني. ثمّ يلقى الثّاني، فيقول: أي فُل، ألم أكرمك وأسوِّدك وأزوِّجك وأسخِّر لك الخيل والإبلَ وأذرْك ترأس وتربَع؟! فيقول: بلى أي ربِّ، فيقول: أفظننتَ أنّك ملاقيّ؟! فيقول: لا، فيقول: فإنّي أنساك كما نسيتَني. ثمّ يلقى الثّالث، فيقول له مثل ذلك، فيقول: يا ربِّ، آمنتُ بك وبكتابِك وبرسُلك وصلّيت وصمتُ وتصدقتُ ويُثني بخير ما استطاع، فيقول: ها هنا إذًا - أي: قف ها هنا -، ثمّ يقال له: الآن نبعَث شاهدَنا عليك، ويتفكّر في نفسه: من الذي يشهد عليّ؟ فيُختَم على فيه، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطِقي، فتنطقُ فخذه ولحمه وعظامُه بعملِه، وذلك ليعذِر من نفسِه، وذلك المنافِق، وذلك الذي يسخَط الله عليه» أخرجه مسلم.

فخلِّص نفسَك يا عبد الله، خلِّص نفسَك من جحيم الذّنوب والأوزار ودروبِ العَار والشّنار، واستدرك ما دُمتَ في زمنِ الإنظار، قبل أن لا تقال العِثار، فما هي إلا جنّة أو نار. وطوبى لمن فاء في هذا اليوم واعترف، وأقلع عمَّا اقترف، وانتهى فغفر الله له ما سلف، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لاَ يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم:٨].

أيها المسلمون، إنَّ ثمرةَ الاستماع الاتّباع، فكونوا من الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنَه.

الأخلاق في الإسلام

«السماحة»

كتبه / محمد عاطف التاجوري

خُلق السماحة من الأخلاق التي أصبحت نادرة جدًا وعزيزة في هذه الأيام، مع أن رسول الله ﷺ جعلها السمة البارزة في هذا الدين فقد روى البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان باب الدين يسر وقول النبي ﷺ «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة» وهذا الحديث الذي رواه البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه معلقًا بصيغة الجزم.

وقد رواه أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قيل لرسول الله ﷺ، أي الأديان أحب إلى الله. قال: الحنيفية السمحة.

[مسند أحمد ١:٢٣٦]

ويقول الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج:٧٨].

ولكن كثير من المسلمين اليوم يظنون أن هذه الصفة من صفات الضعف.

معنى السماحة

قال ابن منظور: السماح والسماحة الجود والمسامحة: المساهلة، وتسامحوا: تساهلوا، وقوله: الحنيفية السمحة: ليس فيها ضيق ولا شدة.. وتقول العرب: عليك بالحق فإن فيه لمسمحًا أي متسعًا

السماحة واليسر

في تفسير ابن كثير لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ قال: أي ما كلفكم ما لا تطيقون وما ألزمكم بشيء يشق عليكم إلا جعل الله لكم فرجًا ومخرجًا، فالصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام بعد الشهادتين تجب في الحضر أربعًا وفي السفر تقصر إلى اثنتين، وفي الخوف يصليها بعض الأئمة ركعة كما ورد به الحديث وتصلى رجالا وركبانًا مستقبلي القبلة وغير مستقبليها، وكذا في النافلة في السفر إلى القبلة وغيرها، والقيام فيها يسقط لعذر المرض فيصليها المريض جالسًا فإن لم يستطع فعلى جنبه إلى غير ذلك من الرخص والتخفيفات في سائر الفرائض والواجبات، ولهذا قال عليه السلام «بعثت بالحنيفية السمحة» وقال لمعاذ وأبي موسى حين بعثهما أميرين إلى اليمن «بشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا» والأحاديث في هذا كثيرة، ولهذا قال ابن عباس في قوله ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾. يعني من ضيق.

وفي صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب الدين يسر وقول النبي ﷺ «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة» روى حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة» وقال ابن حجر في الشرح (فتح الباري).

قوله: «الدين يسر» أي دين الإسلام ذو يسر، أو سمى الدين يسرًا مبالغة بالنسبة إلى الأديان قبله، لأن الله رفع عن هذه الأمة الإصر الذي كان على من قبلهم، ومن أوضح الأمثلة له أن توبتهم كانت بقتل أنفسهم، وتوبة هذه

الأمة بالإقلاع والعزم والندم.

قوله: «أحب الدين» أي خصال الدين، لأن خصال الدين كلها محبوبة، لكن ما كان منها سمحًا - أي سهلا - فهو أحب إلى الله، ويدل عليه ما أخرجه أحمد بسند صحيح من حديث أعرابي لم يسمه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «خير دينكم أيسره». والدين جنس، أي أحب الأديان إلى الله الحنيفية، والمراد بالأديان الشرائع الماضية قبل أن تبدل وتنسخ، والحنيفية ملة إبراهيم، والحنيف من كان على ملة إبراهيم، وسمى إبراهيم حنيفًا لميله عن الباطل إلى الحق، لأن أصل الحنف الميل، والسمحة السهلة، أي أنها مبنية على السهولة، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ وهذا الحديث المعلق لم يسنده المؤلف في هذا الكتاب، لأنه ليس على شرطه. نعم وصله في كتاب الأدب المفرد، وكذا وصله أحمد بن حنبل وغيره من طريق محمد بن إسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس، وإسناده حسن، استعمله المؤلف في الترجمة لكونه متقاصرًا عن شرطه، وقوّاه ما دل على معناه لتناسب السهولة واليسر.

السماحة في البيع والشراء والاقتضاء

روى أحمد في مسنده - وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اسمح يسمح لك».

وفي حديث الشفاعة الذي رواه أحمد أيضًا - وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح - عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «... ثم يقول الله عز وجل انظروا في النار هل تلقون من أحد عمل خيرًا قط؟ قال: فيجدون في النار رجلا. فيقول له: هل عملت خيرًا قط؟ فيقول: لا، غير أني كنت أسامح الناس في البيع والشراء، فيقول الله عز وجل: اسمحوا لعبدي كإسماحه إلى عبيدي».

وروى البخاري في كتاب البيوع من صحيحه باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ومن طلب حقًا فليطلبه في عفاف، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «رحم الله رجلا سمحًا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى». قال ابن حجر في الشرح: قوله «ومن طلب حقًا فليطلبه في عفاف» أي عما لا يحل، أشار بهذا القدر إلى ما أخرجه الترمذي وابن ماجه وابن حبان من حديث نافع عن ابن عمر وعائشة مرفوعًا «من طلب حقًا فليطلبه في عفاف واف أو غير واف».

قوله: (سمحًا) بسكون الميم وبالمهملتين أي سهلا، والمراد بالسماحة: ترك المضاجرة ونحوها لا المكايسة في ذلك.

قوله: «وإذا اقتضى» أي طلب قضاء حقه بسهولة وعدم إلحاف، وفي رواية حكاها ابن التين «وإذا قضى» أي أعطى الذي عليه بسهولة بغير مطل.

وللترمذي والحاكم من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إن الله يحب سمح البيع سمح الشراء سمح القضاء» صحيح [الصحيحة ٨٩٩].

وللنسائي من حديث عثمان رفعه «أدخل الله الجنة رجلا كان سهلا مشتريًا وبائعًا وقاضيًا ومقتضيًا» وسنده حسن بالمتابعة.

ولأحمد من حديث عبد الله بن عمرو نحوه وفيه الحضُّ على السماحة في المعاملة واستعمال معالي الأخلاق وترك المشاحة والحضُّ على ترك التضييق على الناس في المطالبة وأخذ العفو منهم.

والحمد لله رب العالمين

نظرات على فهم النص

«الحلقة الرابعة»

إعداد / متولي البراجيلي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وآله. أما بعد:

فمن أسباب التعدد في فهم النص:

٤- الاكتفاء بالقرآن دون النظر في السنة

فمن اقتصر على القرآن فقط دون الالتفات إلى السنة فقد هدم الدين، وخبط في الشريعة خبط عشواء.

__مثال:__ نظر فريق إلى قول الله تعالى عن أصحاب الكهف: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١]. فقالوا بجواز اتخاذ المساجد على المقابر، لأن الله لم ينكر في الآية على من قال ذلك وأقرهم على قولهم، ولم ينظروا إلى أحاديث النبي ﷺ، وهو القائل: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه». وهو القائل: «ألا إن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله».

والنبي ﷺ نهى عن اتخاذ القبور مساجد، وبين أن من فعل ذلك ملعون من الله، ففي حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

قالت: فلولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا. [متفق عليه]

وفي حديث عائشة أيضًا رضي الله عنها، قالت: لما كان مرض النبي ﷺ تذاكر بعض نسائه كنيسة بأرض الحبشة يقال لها «مارية» - وقد كانت أم سلمة وأم حبيبة قد أتتا أرض الحبشة - فذكرن من حسنها وتصاويرها، قالت: فرفع النبي ﷺ رأسه فقال: «أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا ثم صوروا تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة».

[متفق عليه]

إلى غير ذلك من الأحاديث التي تواترت في النهي عن بناء المساجد على القبور، فتركوا هذه الأحاديث واعتمدوا على الآية المذكورة فقط، مع عدم التسليم لهم بما فهموه منها، إضافة إلى أن هذه الآية في شرع من قبلنا.

[تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد للألباني]

فائدة: حول شرع من قبلنا

لهذه المسألة طرفان ووسط:

١ - طرف يكون فيه شرع من قبلنا شرعًا لنا إجماعًا، وهو ما ثبت أولا: أنه شرع لمن قبلنا بطريق صحيح، ثانيًا: ثبت أنه شرع لنا، وذلك مثل القصاص، فقد ثبت بطريق صحيح أنه شرع لمن قبلنا، في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة:٤٥].

ثم صرَّح لنا في شرعنا بأنه شرع لنا، في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [البقرة:١٧٨].

وكذلك الصيام قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة:١٨٣].

٢ - طرف يكون فيه شرع من قبلنا ليس شرعًا لنا إجماعًا، وهو أحد أمرين:

أ - ما لم يثبت بطريق صحيح أصلا كالمأخوذ من الإسرائيليات.

ب - ما ثبت بطريق صحيح أنه كان شرعًا لمن قبلنا وصرَّح في شرعنا بنسخه كالإصر والأغلال التي كانت عليهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ لما قرأ من المصحف قال: «ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا». قال: «قال الله: قد فعلت».

٣ - أما أما الوسط فهو محل الخلاف بين العلماء، وهو ما اشتمل على ثلاثة ضوابط:

الأول: أن يثبت أنه شرع لمن قبلنا بطريق صحيح، وهو الكتاب وصحيح السنة.

الثاني: ألا يرد في شرعنا ما يؤيده ويقرره (لأنه لو قرره شرعنا صار شرعًا لنا بلا خلاف).

الثالث: ألا يرد في شرعنا ما ينسخه ويبطله.

والجمهور على حجية شرع من قبلنا ومعه الضوابط الثلاثة الموضحة، ومن أدلتهم على ذلك أن الله قصَّ علينا أخبار السابقين للاعتبار؛ ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف:١١١]، وأن الله أمر نبيه ﷺ بالاقتداء بهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠].

والخطاب للنبي ﷺ خطاب للأمة ما لم تكن قرينة صارفة تخص النبي ﷺ.

وقد استدل ابن عباس رضي الله عنهما عندما سأله مجاهد: - كما في البخاري - من أين أخذت السجدة في (ص)؛ فقال: أوَ ما تقرأ: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ﴾ إلى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٨٤ - ٩٠].

فسجدها داود - عليه السلام - فسجدها رسول الله ﷺ.

[مذكرة أصول الفقه للشنقيطي، معالم أصول الفقه للجيزاني]

١.٥ الاعتماد على الفهم الخاص للنصوص

لقد ابتدع أقوام وضل آخرون بسبب فهمهم الخاص للنصوص بالذوق أو العقل أو اللغة أو معطيات العصر المتغيرة، ولم يقيدوا أنفسهم بفهم السلف الصالح ولا قواعدهم وضوابطهم في التعامل مع النص.

مثال: هذا الفهم الخاطئ ظهر مبكرًا في عصر النبوة، ففي البخاري عن أنس رضي الله عنه يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها قالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخَّر؟ فقال أحدهم: أما أنا فأنا أصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء إليهم رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

[البخاري ٥٠٦٣]

فهؤلاء الرهط أعملوا عقولهم دون الرجوع للنبي ﷺ وهو بين ظهرانيهم، فظنوا أن النبي ﷺ لا يحتاج إلى كثرة عبادة وتبتل لأنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهم بذلك يفتئتون على النبي ﷺ، وكأن النبي ﷺ قصَّر في عبادته لله تعالى، فضبط لهم النبي ﷺ فهمهم الخاص الذي استنبطوه بالعقل من النص، ووجههم كما بالحديث.

مثال آخر: حكاية أبي موسى الأشعري وابن مسعود رضي الله عنهما مع الذاكرين الله بكيفية معينة مبتدعة في مسجد الكوفة - وهي في سنن الدارمي -:

قال أبو موسى الأشعري: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفًا أمرًا أنكرته ولم أرَ - والحمد لله - إلا خيرًا، قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قومًا حلقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصى، فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة.

قال: فماذا قلت لهم، قال: ما قلت لهم شيئًا انتظار رأيك أو انتظار أمرك.

قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم، وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم، ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح.

قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد ﷺ ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل وأنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة أهدى من ملة محمد ﷺ؛ أو مفتتحوا باب ضلالة(١).

قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير!

قال: وكم من مريد للخير لا يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا: أن «قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم»، وايم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم.

فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحِلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج.

[أخرجه الدارمي: باب في كراهية أخذ الرأي]

فهؤلاء المبتدعة أعملوا عقولهم وأذواقهم في فهم النصوص التي تحثُّ على ذكر الله كثيرًا في القرآن والسنة وما تقيدوا بالقيود التي جاءت في السنة عن كيفية هذا الذكر وأنواعه، وما تقيدوا بفهم السلف لهذه النصوص.

فراعوا أشياء وغابت عنهم أشياء، وظنوا أنهم على الخير، كما هو حال أكثر أهل البدع.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى

الهوامش:

(١) الابتداع هنا وقع على تحديد عدد معين من الذكر وكيفية معينة وهي التسبيح الجماعي بمرشد يقول: سبحوا كذا، هللوا كذا. الخ فجملة هذه الأفعال لم يستندوا فيها لسنة عن النبي ﷺ وصحابته.

مفاهيم عقائدية

توحيد الألوهية

الحلقة الرابعة

بقلم / أسامة سليمان

وهو توحيد الطلب والقصد، وهو إفراد الله عز وجل بالعبادة، وهو يحوي توحيد الربوبية، فمن عبد الله وحده أقر له ضمنيا بتوحيد الربوبية.

وتوحيد الربوبية وحده ليس كافيًا لتحقيق التوحيد الكامل لله عز وجل ولا كافيا للدخول في الإسلام، ولا تحقق به وحده النجاة للعبد يوم القيامة، وقد كان المشركون يُقرون به ولم ينفعهم ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥]، وقال: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف:٨٧]، ولذلك فإن معنى لا إله إلا الله هو لا معبود بحق إلا الله.

وتوحيد الألوهية هو الذي من أجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، وكانت الجنة والنار وهو الفرق بين أهل الإيمان وأهل الكفر.

فضل كلمة التوحيد

١ ـ هي سبيل السعادة في الدارين فبها الحياة الطيبة وبها تثقل الموازين، وبها أخذ الله الميثاق على العبا،د ولأجلها خلقت الجنة والنار.

٢ ـ هي أعظم نعمة أنعم الله عز وجل بها على عبادة فهداهم إليها؛ قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل:٢].

٣ ـ هي العروة الوثقى كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة:٢٥٦].

٤ ـ هي العهد الذي ذكره الله في قوله: ﴿لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم:٨٧].

٥ ـ هي الحسنى كما في قوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل:٥، ٦].

٦ ـ هي كلمة الحق كما في قوله عز وجل: ﴿إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦].

٧ ـ وهي كلمة التقوى كما في قوله سبحانه: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح:٢٦].

٨ ـ هي القول الثابت في قوله سبحانه: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم:٢٤].

٩ ـ هي السبب في النجاة من النار كما ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرَّم الله عليه النار».

١٠ ـ هي سبب دخول الجنة، ففي الصحيح أن النبي ﷺ قال: «من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق. أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء وفي رواية «أدخله الله الجنة على ما كان من عمل» وهناك قاعدة مهمة للغاية وهي أنه لا يدخل الجنة مشرك ولا يخلد في النار موحد.

١١ ـ هي أفضل الذكر لقوله ﷺ: «أفضل ما قلت أنا والنبيون قبلي لا إله إلا الله».

١٢ ـ هي أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة لحديث البطاقة وفيه: «أن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟» فيقول: لا يا رب، فيقول: «أفلك عذر؟» فيقول: لا يا رب، فيقول: «إن لك عندنا حسنة وأنه لا ظلم عليك اليوم، فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك» فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فقال: «فإنك لا تظلم» قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء».

١٣ - هي أعلى شعب الإيمان لقوله ﷺ: «الإيمان بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق».

١٤ - وهي المثل الأعلى في قوله عز وجل ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الروم:٢٧].

شروط لا إله إلا الله

وقد جمعها صاحب سلم الوصول في علم الأصول في أبيات قال فيها:

وبشروط سبعة قد قيدت
وفي نصوص الوحي حقا وردت
العلم واليقين والقبول
والانقياد فادر ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبة
وفقك الله لما أحبه

وبيان ذلك في الآتي:

١- العلم المنافي للجهل:

يقول الله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [محمد:١٩].

وقال رسول الله ﷺ «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة...».

٢- اليقين المنافي للشك:

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات:١٥].

وفي حديث أبي هريرة أن النبي بعثه بنعليه فقال: «من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه بشره بالجنة وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة».

٣- القبول المنافي للرد:

يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات:٣٥].

وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به».

٤- الانقياد المنافي للترك:

ومعنى الانقياد: أن يقدم العبد ما أحب الله وإن خالف هواه، وأن يبغض ما كره الله وإن وافق هواه، يقول الله تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ [الزمر:٥٤]، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء:١٢٥].

٥- الصدق المنافي للكذب:

وهو أن يقولها صدقا من قلبه يواطئ قلبه لسانه، فقد قال الله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت:٢، ٣]، وقال رسول الله ﷺ: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار» فاشترط في إنجاء هذه الكلمة من النار أن يقولها صدقا من قلبه فلا ينفعه مجرد التلفظ بها بدون مواطاة القلب.

٦- الإخلاص المنافي للشرك:

وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك وعدم القصد من وراء العمل إلا وجه الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿ أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [الزمر:٣] وقال: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة:٥]، وقال رسول الله ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه» وقال «إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله عز وجل».

٧- المحبة المنافية للبغض:

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [البقرة:١٦٥]، وقال: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾ [الفرقان:٤٣]، وقال: ﴿ لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ... ﴾ [المجادلة:٢٢]، وقال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار» وقال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده

والناس أجمعين».

علامات محبة العبد لربه:

١ ـ أن يحب العبد ما أحب الله وإن خالف هواه، وأن يبغض ما أبغضه الله ولو مال إليه هواه.

٢ ـ موالاة من والى الله ورسوله ومعاداة من عادى الله ورسوله.

٣ ـ اتّباع الرسول عليه الصلاة والسلام واقتفاء أثره وهديه. قال رسول الله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى».

وقال ابن عباس: من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك.

معنى لا إله إلا الله

أولا: لا معبود بحق إلا الله، إن قولك لا معبود إلا الله يجعل كل ما يعبد هو الله فالبقرة مثلا تعبد من دون الله، فكلمة بحق قيد احترازي لئلا يدخل مع الله غيره في العبادة.

وشهادة أن لا إله إلا الله لا تتم إلا بتوحيد الرسالة وهي أن محمداً رسول الله، لأنها لازمة لها وقد تقول الشيء ولا تتمه لأنه معلوم لمن تخاطبهم بالضرورة فمثلا هناك أحاديث تتضمن أن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة فأين النصف الثاني من الشهادة؟ نقول: يقتضيها السياق والكلام فلا سبيل لمعرفة ما يحبه الله ويرضاه وما يكرهه ويأباه إلا باتباع ما أمر به رسول الله ﷺ، واجتناب ما نهى عنه ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران:٣٢]. ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١] ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر:٧].

ثانيا:

لا تناقض بين الأحاديث التي تدل على أن الشهادتين سبب لدخول الجنة (أحاديث الوعد). وأحاديث الوعيد بالنار أو تحريم الجنة على من فعل بعض الذنوب حيث يرى ابن رجب وابن تيمية في أظهر أقوالهما أن أحاديث الوعد تدل على أن هذه الأعمال سبب في دخول الجنة وأن أحاديث الوعيد سبب لدخول النار مع أن هذا المقتضى لا يعمل به إلا باستجماع الشروط وانتفاء الموانع.

الجمع بين أحاديث الوعد والوعيد عند العلماء

أولا: أحاديث الوعد: وللعلماء فيها أقوال: الأول: تحمل على أنه يدخلها إذا فعل الأمر الممدوح بعد أن يُطَهَّر من ذنوبه في النار أي يدخلها انتهاءً أي مآله إلى الجنة مثال: «من صلى البردين دخل الجنة» أي أن صلاة البردين (الفجر والعشاء) سبب من أسباب دخول الجنة ربما لا يتحقق لوجود مانع أو لم يستجمع الشروط كمن صلى البردين وسب الدين مثلا أو كمن صلى البردين ولم يصلِّ غيرهما وأحاديث التحريم على النار تحمل على تحريمه على النار بعد الخروج منها أو تحريمه على النار التي أعدت للكافرين.

ثانيا: وأحاديث الوعيد بالنار أو تحريم الجنة على من فعل بعض الذنوب تحمل على ما يلي:

١ ـ يراد بالذنب أن صاحبه يعذب به في النار ثم يدخل الجنة أو المقصود به من استحل الذنب أو المعصية، فمثلا حديث دخول المرأة النار في هرة لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض يحمل على أنها تدخل النار للتطهير لا للخلود ثم بعد ذلك تخرج منها، أو تحمل على أنها تدخل النار وتخلد فيها إن استحلت الفعل المحرم. وأيضا حديث «لا يدخل الجنة نمّام» أو «لا يدخل الجنة قاطع رحم» تحمل على أن العبد لا يدخلها إلا بعد أن يطهر من هذا الذنب، أو تحمل على أن العبد يخلد بهذا الذنب في النار إن استحله، أو تحمل على أن الجنة جنان فيكون فاعل هذا الذنب لا يدخل الجنة التي أعدت لمن لم يرتكب هذه المعصية، فمثلا قاطع الرحم لا يدخل الجنة التي أعدت لمن وصل رحمه.

أما أحاديث تحريم الجنة فيجاب عنها بأن أهل الجنة متفاوتون في السبق في دخولها، فيكون فاعل الذنب لا يدخل الجنة في الوقت الذي يدخلها فيه الذي لم يرتكب هذا الذنب أو يحرم عليه الجنة إذا استحل الذنب.

وأحاديث التحريم على النار مثل حديث «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله» تحمل على أنه لا يلج نار الخلد أي لا يدخلها أو قد تحمل على أنه يدخل النار ليطهر من ذنوبه ثم يخرج منها فلا يلجها بعد ذلك أبدا.

فضل أهل البيت وعلو مكانتهم عند أهل السنة والجماعة

لفضيلة الشيخ/ عبد المحسن بن حمد العباد البدر
الأستاذ بالجامعة الإسلامية سابقًا والمدرس بالمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة

«الحلقة الرابعة»

ثناء بعض أهل العلم على جماعة من الصحابة من أهل البيت

عمُّ رسول الله ﷺ العباسُ بن عبد المطلب رضي الله عنه

قال الذهبيُّ في سير أعلام النبلاء (٢/٧٩-٨٠): «كان من أطول الرِّجال، وأحسنهم صورة، وأبهاهم، وأجهرهم صوتًا، مع الحلم الوافر والسُّؤدد.

قال الزبير بن بكّار: كان للعباس ثوبٌ لعاري بني هاشم، وجفنةٌ لجائعهم، ومنظرة لجاهلهم، وكان يمنع الجارَ، ويبذل المالَ، ويُعطي في النوائب».

وقوله: «مِنظرة»: في تهذيب تاريخ ابن عساكر: مِقطرة، وهي ما يُربَط به مَن يحصل منه اعتداءٌ وظلم. (انظر حاشية السير).

عمّ رسول الله ﷺ حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

قال ابن عبد البرّ في الاستيعاب (١/٢٧٠ حاشية الإصابة): «حمزة بن عبد المطلب بن هاشم عمُّ النبي عليه الصلاة والسلام، كان يُقال له: أسد الله وأسد رسوله، يكنى أبا عمارة وأبا يعلى أيضًا».

وقال فيه الذهبي: «الإمام البطل الضِّرغام أسد الله أبو عُمارة وأبو يعلى القرشي الهاشمي المكي ثم المدني البدري الشهيد، عمُّ رسول الله ﷺ، وأخوه من الرَّضاعة». السير (١/١٧٢).

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

روى مسلمٌ في صحيحه (٢٧٦) بإسناده إلى شُريح بن هانئ قال: «أتيتُ عائشة أسألها عن المسح على الخفين، فقالت: عليك بابن أبي طالب فَسَلْه، فإنَّه كان يُسافر مع رسول الله ﷺ، فسألناه، فقال: جعل رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ولياليَهنَّ للمسافر، ويومًا وليلةً للمقيم».

وفي رواية له قالت: «ائت عليًّا؛ فإنه أعلمُ بذلك منّي، فأتيتُ عليًّا، فذكر عن النبيِّ ﷺ بمثله».

وقال ابن عبد البر رحمه الله في الاستيعاب (٣/٥١ حاشية الإصابة): «وقال أحمد بن حنبل وإسماعيل بن إسحاق القاضي: لَم يُرْوَ في فضائل أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان ما رُوِي في فضائل عليٍّ بن أبي طالب، وكذلك أحمد بن شعيب بن علي النسائي رحمه الله».

وقال أيضًا (٣/٤٧): «وسُئل الحسن بن أبي الحسن البصري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؟ فقال: كان عليٌّ والله! سهمًا صائبًا من مرامي الله على عدوِّه، وربانيًّا والله، وذا فضلها وذا سابقتها وذا قرابتها من رسول الله ﷺ، لَم يكن بالنومة عن أمر الله، ولا بالملومة في دين الله، ولا بالسروقة لمال الله، أعطى القرآن عزائمه، ففاز منه برياضٍ مونقة، ذلك عليُّ بن أبي طالب يا لُكَع».

وقال أيضًا (٣/٥٣): «روى الأصمُّ، عن عباس الدوري، عن يحيى بن معين أنه قال: خيرُ هذه الأمة بعد نبيِّنا: أبو بكر، وعمر، ثم عثمان، ثم علي، هذا مذهبُنا وقولُ أئمتنا».

وقال أيضًا (٣/٦٥): «وروى أبو أحمد الزبيري وغيره عن مالك بن مِغول، عن أُكَيْل، عن الشعبي قال: قال لي علقمة: تدري ما مَثَلُ عليّ في هذه الأمَّة؟ قلت: وما مثله؟ قال: مَثَلُ عيسى ابن مريم؛ أحبَّه قومٌ حتى هلكوا في حبِّه، وأبغضه قومٌ حتى هلكوا في بغضه».

ومرادُ علقمة بالمشبَّه به اليهود والنصارى، وفي المشبَّه الخوارج والرافضة.

وقال أيضًا (٣٣/٣): «وأجمعوا على أنه صلَّى القبلتين، وهاجر، وشهد بدرًا والحديبية وسائر المشاهد، وأنه أبلى ببدر وبأُحد وبالخندق وبخيبر بلاءً عظيمًا، وأنه أغنى في تلك المشاهد، وقام فيها المقامَ الكريم، وكان لواءُ رسول اللَّه ﷺ بيده في مواطن كثيرة، وكان يوم بدر بيده على اختلاف في ذلك، ولما قُتل مصعب ابن عُمير يوم أحُد وكان اللواء بيده دفعه رسول ﷺ إلى عليّ رضي الله عنه».

وقال ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة (١٧٨/٦): «وعلى رضي الله عنه ما زالا- أي أبو بكر وعمر- مُكرمين له غاية الإكرام بكلِّ طريق، مقدمين له بل ولسائر بني هاشم على غيرهم في العطاء، مُقدمين له في المرتبةِ والحرمةِ والمحبَّة والموالاة والثناء والتعظيم، كما يفعلان بنظرائه، ويُفضلانه بما فضله اللهَ عزَّ وجلَّ به على مَن ليس مثله، ولم يُعرف عنهما كلمةُ سوء في عليٍّ قطُّ، بل ولا في أحد من بني هاشم» إلى أن قال: «وكذلك عليٌّ رضي الله عنه قد تواتر عنه مِن محبتهما وموالاتهما وتعظيمهما وتقديمهما على سائر الأمة ما يُعلم به حاله في ذلك، ولم يُعرف عنه قط كلمةُ سوءٍ في حقِّهما، ولا أنَّه كان أحقَّ بالأمر منهما، وهذا معروفُ عند مَن عرف الأخبار الثابتةَ المتواترة عند الخاصَّة والعامة، والمنقولة بأخبار الثقات».

وقال أيضًا (١٨/٦): «وأمَّا عليٌّ رضي الله عنه، فأهل السنة يُحبونه ويتولونه، ويشهدون بأنه من الخلفاء الراشدين والأئمة المهديِّين».

وقال ابن حجر رحمه الله في التقريب: «عليُّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمي، حَيْدَرَة، أبو تُراب، وأبو الحسنين، ابنُ عمِّ رسول اللَّه ﷺ وزوجُ ابنته، من السابقين الأولين، ورجَّح جمعُ أنه أولُ من أسلم، فهو سابقُ العرب، وهو أحدُ العشرة، مات في رمضان سنة أربعين، وهو يومئذٍ أفضلُ الأحياء مِن بَني آدم بالأرض، بإجماع أهل السُّنَّة، وله ثلاثُ وستون سنة على الأرجح».

ولعليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه مِن الولد خمسة عشر من الذُكور، وثمان عشرة من الإناث، ذكر ذلك العامريُّ في «الرياض المستطابة في جملة مَن رَوَى في الصحيحين من الصحابة» (ص: ١٨٠)، ثم ذكرهم وذكر أمهاتهم، ثم قال: «والعَقِبُ من ولَد عليَ كان في الحسن والحسين ومحمد وعمر والعباس».

سبط رسول الله ﷺ الحسنُ بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما

قال ابن عبد البر رحمه الله في الاستيعاب (٣٦٩/١ حاشية الإصابة): «وتواترت الآثارُ الصحاحُ عن النبيّ عليه الصلاة والسلام أنه قال في الحسن بن علي: «إنَّ ابني هذا سيدٌ، وعسى الله أن يُبقيه حتى يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» رواه جماعةٌ من الصحابة، وفي حديث أبي بكرة في ذلك (وأنَّه ريحانتي من الدنيا).

ولا أسود ممن سمَّاه رسول اللَّه ﷺ سيدًا، وكان رضي الله عنه حليمًا ورعًا فاضلاً، دعاه ورعُه وفضله إلى ترك المُلك والدنيا رغبةً فيما عند الله، وقال: «والله، ما أحببتُ- منذ علمتُ ما ينفعني ويضرني- أن ألِيَ أمر أمة محمدٍ ﷺ على أن يُهراق في ذلك محجمة دم»، وكان من المبادرين إلى نصر عثمان رضي الله عنه والذابين عنه».

وقال فيه الذهبيُّ في السير (٢٤٥/٣- ٢٤٦): «الإمامُ السيد، ريحانةُ رسول اللَّه ﷺ وسِبطُه، وسيد شباب أهل الجنة، أبو محمد القرشي الهاشمي المدني الشهيد».

وقال أيضًا (٢٥٣/٣): «وقد كان هذا الإمامُ سيدًا وسيمًا، عاقلاً، رزينًا، جوادًا، ممدحًا، خيِّرًا، ديِّنًا، ورَعًا، مُحتشمًا، كبيرَ الشأن».

وقال فيه ابنُ كثير في البداية والنهاية (١٩٢/١١- ١٩٣): «وقد كان الصِّدِّيقُ يُجله ويُعظمه ويكرمه ويتفداه، وكذلك عمر بنُ الخطاب». إلى أن قال: «وكذلك كان عثمان بن عفان يُكرمُ الحسن والحسين ويُحبهما، وقد كان الحسن بن علي يوم الدار- وعثمان بن عفان محصورُ- عنده ومعه السيف متقلدًا به يُجاحف عن عثمان، فخشي عثمان عليه، فأقسم عليه ليرجعنَّ إلى منزلهم؛ تطييبًا لقلب عليَ وخوفًا عليه، رضي الله عنهم».

سبط رسول الله ﷺ الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما

قال ابنُ عبد البر رحمه الله في الاستيعاب (١/٣٧٧ حاشية الإصابة): «وكان الحسين فاضلا ديِّنًا كثير الصَّوم والصلاةِ والحجِّ».

وقال ابن تيمية كمَا في مجموع الفتاوى (٤/٥١١): «والحسين رضي الله عنه أكرمه الله تعالى بالشهادةِ في هذا اليوم - أي يوم عاشوراء - وأهان بذلك مَن قتله أو أعان على قتله أو رضي بقتله، وله أسوةٌ حسنةٌ بمن سبقه من الشهداء؛ فإنه (هو) وأخوه سيِّدَا شباب أهل الجنَّة، وكانا قد تربيَا في عزِّ الإسلام، لم ينالا من الهجرة والجهاد والصبر على الأذى في الله ما ناله أهلُ بيت، فأكرمهما الله تعالى بالشهادة تكميلا لكرامتهما، ورفعًا لدرجاتهما.

وقتلُه مصيبةُ عظيمة، والله سبحانه قد شرع الاسترجاع عند المصيبة بقوله: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧خ].

وقال فيه الذهبي رحمه الله في السير (٣/٢٨٠): «الإمام الشريفُ الكاملُ، سِبطُ رسول اللَّه ﷺ وريحانته من الدنيا ومحبوبُه، أبو عبد الله الحسين ابن أمير المؤمنين أبي الحسن علي ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصي القرشي الهاشمي».

وقال ابنُ كثير رحمه الله في البداية والنهاية (١١/٤٧٦): «والمقصود أنَّ الحسين عاصر رسول اللَّه ﷺ وصحبه إلى أن توفي وهو عنه راض، ولكنَّه كان صغيرًا، ثم كان الصدِّيق يُكرمُه ويعظِّمه، وكذلك عمر وعثمان، وصحب أباه وروى عنه، وكان معه في مغازيه كلها، في الجمل وصفين، وكان معظمًا موقرًا».

ابن عم رسول الله ﷺ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

روى البخاري في صحيحه (٤٩٧٠) عن ابن عباس قال: «كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لِمَ تدخلُ هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم، فدعاني ذات يوم فأدخلني معهم، فما رُئيتُ أنه دعاني إلا ليريهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ [النصر:١]، فقال بعضهم: أُمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نُصرنا وفُتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجلُ رسول اللَّه ﷺ أعلمه له، قال: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾، وذلك علامة أَجَلِكَ، ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾، فقال عمر: ما أعلمُ إلا ما تقول».

وفي الطبقات لابن سعد (٢/٣٦٩) عن سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال: «ما رأيتُ أحضرَ فهمًا ولا ألبَّ لُبًا ولا أكثر علمًا ولا أوسع حلمًا من ابن عباس، ولقد رأيتُ عمر بن الخطاب يدعوه للمعضلات».

وفيها أيضًا (٢/٣٧٠) عن طلحة بن عبيد الله أنه قال: «لقد أُعطي ابنُ عباس فهمًا ولقنًا وعلمًا، ما كنت أرى عمر بن الخطاب يُقدِّم عليه أحدًا».

وفيها أيضًا (٢/٣٧٠) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال حين بلغه موتُ ابن عباس- وصفَّق بإحدى يديه على الأخرى-: «مات أعلمُ الناس، وأحلمُ الناس، ولقد أصيبتْ به هذه الأمة مُصيبة لا تُرتق».

وفيها أيضًا عن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم قال: «لما مات ابنُ عباس قال رافع بن خديج: مات اليوم من كان يحتاج إليه مَن بين المشرق والمغرب في العلم».

وفي الاستيعاب لابن عبد البر (٢/٣٤٤-٣٤٥) عن مجاهد أنه قال: «ما سمعتُ فُتيا أحسن من فتيا ابن عباس، إلا أن يقول قائلُ: قال رسول اللَّه ﷺ. وروي مثلُ هذا عن القاسم بن محمد».

وقال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية (١٢/٨٨): «وثبت عن عمر بن الخطاب أنه كان يُجلس ابن عباس مع مشايخ الصحابة، ويقول: نِعمَ ترجمان القرآن عبد الله بن عباس، وكان إذا أقبل يقول عمر: جاء فتى الكهول، وذو

اللسان السئول، والقلب العقول».

ابن عم رسول الله ﷺ جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

في صحيح البخاري (٣٧٠٨) من حديث أبي هريرة، وفيه: «وكان أخْيَرَ الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب، كان ينقلبُ بنا فيطعمنا ما كان في بيته، حتى إن كان ليخرج إلينا العُكَّة التي ليس فيها شيء فيشقها، فنلعق ما فيها».

قال الحافظ ابن حجر في شرحه (الفتح ٧٦/٧): «وهذا التقييد يحمل عليه المطلق الذي جاء عن عكرمة عن أبي هريرة، وقال: (ما احتذى النعال ولا ركب المطايا بعد رسول الله ﷺ أفضلُ من جعفر بن أبي طالب). أخرجه الترمذي والحاكم بإسناد صحيح».

وقال فيه الذهبي في السير (٢٠٦/١): «السيد الشهيد الكبير الشأن، علم المجاهدين، أبو عبد الله، ابن عمِّ رسول الله ﷺ عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصيَ الهاشمي، أخو عليّ بن أبي طالب، وهو أسن من عليّ بعشر سنين.

هاجر الهجرتين، وهاجر من الحبشة إلى المدينة فوافى المسلمين وهم على خيبر إثر أخذها، فأقام بالمدينة أشهرًا ثم أمَّره رسول الله ﷺ على جيش غزوة مؤتة بناحية الكرك، فاستشهد، وقد سُرَّ رسول الله ﷺ كثيرًا بقدومه، وحزن- والله- لوفاته».

وفي التقريب لابن حجر أنه قال: «جعفر بن أبي طالب الهاشمي، أبو المساكين، ذو الجناحين الصحابيّ الجليل ابن عمِّ رسول الله ﷺ، استشهد في غزوة مؤتة سنة ثمان من الهجرة، وَرَدَ ذكرُه في الصحيحين دون رواية له».

ويقال له ذو الجناحين؛ لأنه عُوِّض عن يديه لما قطعتا في غزوة مؤتة جناحين يطير بهما مع الملائكة، ففي صحيح البخاري (٣٧٠٩) بإسناده إلى الشعبي: «أن ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا سلَّم على ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين».

قال الحافظ في شرحه: «كأنه يشير إلى حديث عبد الله بن جعفر، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «هنيئًا لك، أبوك يطير مع الملائكة في السماء». أخرجه الطبراني بإسناد حسن».

ثم ذكر طرقًا أخرى عن أبي هريرة وعليّ وابن عباس، وقال في طريق عن ابن عباس: «إن جعفرًا يطير مع جبريل وميكائيل، له جناحان، عوَّضه الله من يديه»، وقال: «وإسناد هذه جيد».

ابن عمِّ رسول الله ﷺ عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما

في صحيح مسلم (٢٤٢٨) عن عبد الله بن جعفر قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تُلُقِّي بصبيان أهل بيته، قال: وإنه قدم من سفر فسبُق بي إليه، فحملني بين يديه، ثم جيء بأحد ابني فاطمة فأردفه خلفه، قال: فأدخلنا المدينة ثلاثة على دابَّة».

قال فيه الذهبي رحمه الله في السير (٤٥٦/٣): «السيد العالم، أبو جعفر القرشي الهاشمي، الحبشي المولد، المدني الدار، الجواد ابن الجواد ذي الجناحين، له صحبة ورواية، عِدادُه في صغار الصحابة، استشهد أبوه يوم مؤتة، فكفله النبي ﷺ ونشا في حجره».

وقال أيضا: «وكان كبير الشأن، كريمًا جوادًا، يصلح للإمامة».

وفي الرياض المستطابة للعامريَ (ص٢٠٥): «وصلَّى عليه أبان بن عثمان، وكان يومئذ والي المدينة، وحمل أبانُ سريره ودموعه تنحدر وهو يقول: كنت- والله- خيرًا لا شرَّ فيك، وكنت- والله- شريفًا فاضلا برًا».

ومن أصحاب رسول الله ﷺ الذين هم من أهل بيته:

أبو سفيان ونوفل وربيعة وعبيدة بنو الحارث بن عبد المطلب.

وعبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب.

والحارث والمغيرة ابنا نوفل بن الحارث بن عبد المطلب.

وجعفر وعبد الله ابنا أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.

ومعتِّب وعتبة ابنا أبي لهب عبد العزى بن عبد المطلب.

والفضل وعبيد الله ابنا العباس بن عبد المطلب.

شيخ القراء والعربية

أبو عمرو بن العلاء

بقلم / مجدي عرفات

اسمه ونسبه: هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار ابن العريان، وقيل: ابن العلاء ابن عمار بن عبد الله بن الحصين ابن الحارث بن جلْهم بن خزاعة بن مازن ابن مالك بن عمرو التميمي ثم المازني البصري واسمه على المشهور زبّان. وقيل: اسمه كنيته، أمه عائشة بنت عبد الرحمن بن ربيعة بن بكر من بني حنيفة.

مولده: ولد سنة ثمان وستين، وقيل: سنة سبعين.

شيوخه: أخذ القراءة عن أهل الحجاز وأهل البصرة فعرض بمكة على مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء وعكرمة بن خالد، وابن كثير، وعرض بالبصرة على يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم والحسن وغيرهم.

وروى الحديث عن أنس بن مالك، والحسن البصري، وداود بن أبي هند، وأبي صالح ذكوان، وذي الرّمة الشاعر، ورؤبة بن العجاج الراجز، وعطاء بن أبي رباح، وأبيه العلاء، ومجاهد، ومحمد بن سيرين، وابن أبي ليلى والزهري وأبي الزبير، ونافع مولى ابن عمر، وهشام بن عروة وغيرهم.

الرواة عنه: قرأ عليه خلق كثير منهم يحيى ابن المبارك اليزيدي، وعبد الوارث بن سعيد، وشجاع، والبلخي، وعبد الله بن المبارك، وحسين الجعفي، ومعاذ بن معاذ، ويونس بن حبيب النحوي، وأبو زيد الأنصاري سعيد بن أوس، وسلام الطويل وعدة.

روى عنه الحديث وأخذ عنه والقرآن والآداب: أبو عبيدة، والأصمعي، وشبابة، ويعلى بن عبيد، والفضل بن عباس، ومعاذ بن هارون بن موسى، وعبيد بن عقل، وأبو عمرو الشيباني، والحسين بن واقد، وأبو أسامة حماد بن أسامة، وحماد بن زيد، وشعبة بن الحجاج، وعبد الملك بن قريب الأصمعي، وعبد الوارث بن سعيد، وعيسى بن يونس، ومعتمر ابن سليمان، ومعمر بن راشد، ووكيع بن الجراح، ويحيى بن حفص الأسدي الرازي المقرئ النحوي، ويعلى بن عبيد الطنافسي، ويونس بن حبيب، وغيرهم كثير.

ثناء العلماء عليه:

قال اليزيدي: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: سمع قراءتي سعيدُ بن جبير فقال: الزم قراءتك هذه.

قال أبو بكر بن مجاهد: كان أبو عمرو مقدمًا في عصره عالمًا بالقراءة ووجوهها، قدوة في العلم باللغة العربية، إمام الناس في العربية، وكان مع علمه باللغة وفقهه في العربية متمسكًا بالآثار لا يكاد يخالف في اختياره ما جاء عن الأئمة قبله، متواضعًا في علمه، قرأ على أهل الحجاز، وسلك في القراءة طريقهم، ولم تزل العلماء في زمانه تعرف له تقدمه وتقر له بفضله وتاتم في القراءة بمذاهبه، وكان حسن الاختيار سهل القراءة غير متكلف، يُؤثر التخفيف ما وجد إليه السبيل.

قال أبو عبيدة: كان أعلم الناس بالقراءة والعربية والشعر وأيام العرب وكانت دفاتره ملء بيت إلى السقف ثم تنسك فأحرقها، وكان من أشراف العرب ووجوههم.

قال يحيى بن معين: ثقة.

وقال أبو حاتم: ليس به باس.

وقال أبو عمرو الشيباني: ما رايت مثل أبي عمرو.

وقال شعبة: انظر ما يقرأ به أبو عمرو مما يختار فاكتبه فإنه سيصير للناس أستاذا.

قال إبراهيم الحربي وغيره: كان أبو عمرو من أهل السنة.

قال أحمد بن الأسود: كان أبو عمرو متواريًا - يعني أيام الحجاج - فدخل عليه الفرزدق فانشده:

ما زلت أفتح أبوابًا وأغلقها
حتى أتيت أبا عمرو بن عمار
حتى أتيت فتىً ضخمًا دسيعته
مرُّ المريرة حرٌّ وابن أحرار
تنميهم مازن في فرع بنعتها
جَدٌ كريم وعُودٌ غير خوار

قال إبراهيم الحربي: كان أهل البصرة - يعني أهل العربية منهم - أصحاب الهوى إلا أربعة فإنهم

كانوا أصحاب سنة: أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب، والأصمعي.

قال الذهبي: برَّز في الحروف وفي النحو وتصدر للإفادة مدة واشتهر بالفصاحة والصدق وسعة العلم.

قال ابن حجر: ثقة من علماء العربية.

من أحواله وأقواله:

عن الأصمعي قال: قال لي أبو عمرو بن العلاء: لو تهيأ أن أفرغ ما في صدري من العلم في صدرك لفعلت، ولقد حفظت في علم القرآن أشياء لو كتبت ما قدر الأعمش على حملها ولولا أن ليس لي أن أقرأ إلا بما قرئ لقرأت حرف كذا وذكر حروفًا.

قال اليزيدي: تكلم عمرو بن عبيد (المعتزلي) في الوعيد سنة، وقال أبو عمرو: إنك لألكن الفهم إذا صيرت الوعيد الذي في أعظم شيء مثله في أصغر شيء. فاعلم أن النهي عن الصغير والكبير ليسا سواء وإنما نهى الله عنهما لتتم حجته على خلقه ولئلا يعدل عن أمره ووعيده، ثم أنشد:

ولا يرهب ابن العم ما عشت صولتي
ولا أختتي من صولة المتهدِّد
وإني وإن أوعدته ووعدته
لمخلف إيعادي ومنجزُ موعدي

فقال عمرو بن عبيد: صدقت. إن العرب تتمدح بالوفاء بالوعد والوعيد وقد يتمدح بهما المرء. تسمع إلى قولهم.

لا يخلف الوعد والوعيد ولا
يبيت من ثأره على فوت

فقد وافق هذا قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾. قال أبو عمرو: قد وافق الأول أخبار رسول الله ﷺ والحديث يفسر القرآن.

قال الأصمعي: قال لي أبو عمرو: كن على حذر من الكريم إذا أهنته، ومن اللئيم إذا أكرمته، ومن الغافل إذا أحرجته، ومن الأحمق إذا مازحته، ومن الفاجر إذا عاشرته، وليس من الأدب أن تجيب من لا يسالك أو تسال من لا يجيبك، أو تحدث من لا ينصت لك.

قال الأصمعي: كان لأبي عمرو كل يوم يُشتري كوزًا وريحانًا بفلسين، فإذا أمسى تصدق بالكوز وقال للجارية: جففي الريحان ودنيه في الأشنان.

قال أبو عمرو: كنت رأسًا والحسن البصري حيٌّ.

وقال: لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قرئ به لقرأت حرف كذا وحرف كذا.

قلت: وهذا يدل على أن القراءات لابد وأن تكون مسموعة كما يدل على التزام أبي عمرو لذلك.

قال أبو عمرو: خذ الخير من أهله، ودع الشر لأهله.

قال الأصمعي: كنتُ إذا رأيت أبا عمرو يتكلم ظننتُه لا يعرف شيئًا، كان يتكلم كلامًا سهلاً.

قال أبو عمرو: إنما نحن فيمن مضى كبقل في أصول نخل طوال.

قلت: وهذا هو التواضع ومعرفة الإنسان قدر نفسه، وأما في زماننا فيقول من لا يحسن أن يتكلم: نحن رجال وهم رجال، أو يقال: لا تلزمني بقول فلان من العلماء أنا متعبد بفهمي أنا، وهو لا يفهم معنى ما يقول. نسأل الله العلم النافع والتواضع للحق ولأهل العلم الكبار.

قال أبو عمرو: نظرت في هذا العلم قبل أن أختن، وله يومئذ أربع وثمانون سنة.

قال حماد بن زيد: سألت أبا عمرو بن العلاء عن القدر، فقال: ثلاث آيات في القرآن ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير:٢٨، ٢٩] ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان:٢٩، ٣٠] ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [المدثر:٥٥، ٥٦]، يعني أن مشيئة العباد تابعة لمشيئة الله، فلا مشيئة لهم إلا ما شاءه سبحانه وتعالى.

قال الأصمعي: قال أبو عمرو: سمعت أعرابيًا ينشد - وقد كنت خرجت إلى ظاهر البصرة متفرجًا مما نالني من طلب الحجاج لي واستخفائي منه -:

صبْر النفس عند كل مُلِمٍّ
إن في الصبر حيلة المحتال
لا تُضيقنَ في الأمور فقد يُكْـ
ـشف لأواؤها بغير احتيال
ربما تجزع النفوس له من الأمـ
ـر فَرْجَةٌ كحل العقال
قد يصابُ الجبانُ في آخر الصَّـ
ـف وينجو مُقارع الأبطال

فقلت: ما وراءك يا أعرابي. قال: مات الحجاج فلم أدر بأيهما أفرح، بموت الحجاج أو بقوله (فَرْجة) لأني كنت أطلب شاهدًا لإختياري القراءة في سورة البقرة: ﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ [البقرة: ٢٤٩].

قال أبو عمرو: كنت في ضيعتي فاشتد عليَّ الحر، فبينا أنا أدور فيها نصف النهار إذ سمعت قائلاً يقول:

وإنَّ امرءًا دنياه أكبر همه
لمستمسك منها بحبل غرور

قال: فنقشته على خاتمي، فكان نقش خاتمه.

قال أبو عمرو: من عرف فضل من فوقه عُرف له من دونه، ومن جَحَد جُحِد.

قال: ما تشاتم رجلان إلا غلب المُهمل.

وفاته: قال أبو عبيدة: حدثني يونس أن أبا عمرو كان يغشى عليه ويفيق فافاق من غشية له فإذا ابنه بشر يبكي، فقال: ما يبكيك وقد أتت عليَّ أربع وثمانون سنة؟. اهـ.

وكانت وفاته سنة أربع وخمسين ومائة، وقيل: سنة سبع وخمسين ومائة. رحمه الله. والله تعالى أعلم.

المراجع:

طبقات القراء.
سير أعلام النبلاء.
تهذيب الكمال.

حوض النبي صلى الله عليه وسلم

إعداد/ صلاح عبد الخالق محمد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله... وبعدُ.

يوم العطش الأكبر

يوم القيامة شديد الأهوال المتراكمة، هذه الأهوال تزيد الناس ألمًا وجوعًا وعطشًا وذلك بسبب:

١ - اقتراب الشمس من الرؤوس:

في صحيح مسلم عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول: «تُدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل (قال سليم بن عامر فوالله ما أدري ما يعني بالميل أمسافة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين) قال: «فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يُلجمه العرق إلجامًا» قال: وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه.

٢ - حمل الذنوب على الظهر:

قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾ [النحل:٢٥].

﴿... وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ...﴾ [الأنعام:٣١].

٣ - مجيء النار:

قال تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر:٢٣،٢٤].

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها».

هذه الملايين من الملائكة يمسكون بالنار وهذا يدل على خطورة الموقف.

٤ - الزحام الشديد:

كل الناس من لدن آدم إلى يوم القيامة واقفون مجتمعون إلى يوم القيامة ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين:٦].

صفات حوض النبي ﷺ:

١ - مساحة الحوض:

في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء» قال العلماء: زواياه سواء معناه طوله كعرضه.

وفي سنن ابن ماجة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حوضي كما بين الكعبة وبيت المقدس».

٢ - صفات ماء الحوض:

رائحة ماء الحوض

في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله ﷺ: «وريحه أطيب من المسك».

لون ماء الحوض

في صحيح مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «...ماؤه أشد بياضًا من اللبن».

برودة مائه

في سنن الترمذي من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «... وماؤه أشد بردًا من الثلج» لعل هذا يناسب شدة الحرارة والزحام الكبير والعطش

الذي يوجد في أرض المحشر.

طعم ماء الحوض:

في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أحلى من العسل باللبن».

بالله عليك هل شربت عسل نحل مخلوطًا باللبن؟ إذا كنت شربت فما طعم ذلك؟ ولكن هذا للتقريب، والحوض أطعم من ذلك بكثير والله أعلم.

قوام ماء الحوض

روى ابن عاصم وابن أبي الدنيا من حديث بريدة قال رسول ﷺ: «... وألين من الزبد».

من شرب ماءً بهذه المواصفات لم يظمأ أبدًا ولم يسود وجهه.

٣- من أين يأتي ماء الحوض؟

في مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ويفتح نهر الكوثر إلى الحوض».

وفي صحيح مسلم من حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَغُتُّ فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من وَرِق».

يغت: بفتح الياء وضم الغين وكسرها وبالتاء المشددة، معناه: يدفقان فيه الماء دفقا متتابعا شديدا.

[شرح النووي لمسلم كتاب الفضائل١٥/٦٣].

معنى ذلك أن ماء حوض النبي ﷺ يأتي من نهر الكوثر في الجنة عن طريق أنبوبَيْن أحدهما من فضة وآخر من ذهب دون انقطاع.

٤- عدد آنية الحوض:

في صحيح مسلم عن أبي ذر قلت: يا رسول الله، ما آنية الحوض قال: «والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية».

يوضح لنا ﷺ أن عدد آنية (كيزان) الحوض أكثر من عدد النجوم والكواكب والنبي الصادق أقسم على ذلك.

قال الإمام النووي رحمه الله: «وخص الليلة المظلمة المصحية لأن النجوم ترى فيها أكثر والمراد بالمظلمة التي لا قمر فيها، والمصحية التي لا سحاب فيها».

[شرح مسلم للنووي (١٥/٦٥)].

أين مكان الحوض؟
هل الحوض قبل الصراط أم بعده؟

اختلف العلماء في ذلك ولكن الإمام القرطبي رحمه الله رجح أن الحوض قبل الصراط واستدل على ذلك بحديث البخاري (٦٥٨٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا قائم على الحوض إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلم: فقلت إلى أين؟ فقال إلى النار. قلت ما شأنهم؟ فقال إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى ثم إذا زمرة أخرى حتى إذا عرفتهم خرج من بيني وبينهم رجل فقال لهم: هلم فقلت إلى أين؟ قال إلى النار.....».

قلت (أي القرطبي) فهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض في الموقف قبل الصراط لأن الصراط إنما هو جسر على جهنم ممدود يجاز عليه فمن جازه سلم من النار. [صحيح التذكرة ص٢١٧].

ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح أقوال العلماء في ذلك في نهاية شرحه وذكر حديثا طويلا وقال: «وهو صريح في أن الحوض قبل الصراط ». [فتح الباري (١١/٤٧٥)]

المحروم المطرود!

المحروم المطرود هو الذي يُطرد من أمام حوض النبي ﷺ ويُحرم من الشرب برغم احتياجه الشديد للماء.

في الصحيحين عن سهل بن سعد قال: قال النبي ﷺ: «إني فرطكم على الحوض، من مر

على شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا، ليردن عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم فأقول: إنهم مني فيُقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقًا سحقًا لمن غير بعدي».

في هذا الحديث بيان أن النبي ﷺ يطرد بنفسه من أحدث وابتدع وخالف هداه ويقول سحقًا سحقًا: أي بعدًا بعدًا وكرر للتوكيد والمبالغة.

قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين: فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه وأشدهم طردًا من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج والروافض والمعتزلة. وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق وقتل أهله وإذلالهم والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع.

[صحيح التذكرة للإمام القرطبي ص٢٢١]

فأهل الموالد والبدع الذين يدعون زورًا حب النبي ﷺ هم من المطرودين من على الحوض لأنهم بدلوا وخالفوا فكان الجزاء من جنس العمل نسأل الله العافية.

السعيد من يشرب من الحوض

إذا أردت أن تكون من السعداء الذين يشربون من الحوض فعليك بالآتي:

١- الصدق مع الله وعدم الاغترار بالدنيا:

قال الله تعالى: ﴿... فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [فاطر:٥].

٢- الاقتداء بالنبي ﷺ:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

٣- إطالة الغرة والتحجيل:

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه»، قالوا: يا رسول الله، أتعرفنا يومئذ؟ قال: «نعم، لكم سيما ليست لأحد من الأمم، تردون على غُرًا محجلين من أثر الوضوء».

قال الإمام النووي: تطويل الغرة: هو غسل شيء من مقدم الرأس وما يجاور الوجه زائدًا عن الجزء الذي يجب غسله؛ لاستيقان كمال الوجه.

أما تطويل التحجيل: فهو غسل ما فوق المرفقين والكعبين وهذا مستحب بلا خلاف بين أصحابنا.

[شرح مسلم ١/٥٣١]

أعضاء الوضوء تسطع نورا يوم القيامة

في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت خليلي ﷺ يقول: «تبلغ الحلية من المؤمنين حيث يبلغ الوضوء».

٤- الإخلاص:

عن عبد الله بن مسعود قال: «يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط، وأظمأ ما كانوا قط، وأعرى ما كانوا قط، وأنصب ما كانوا قط، فمن أطعم لله أطعمه، ومن سقى لله سقاه، ومن كسا لله كساه، ومن عمل لله كفاه، ومن نصر الله أراحه الله في ذلك اليوم».

[صحيح التذكرة ١٣٦]

٥- الثبات على الإيمان:

قال العلماء: وإن الذي سيشرب من الحوض هم الثابتون على الإيمان والتقوى حتى الموت وإن مقدار ما يشربه المؤمن من الحوض بقدر درجة حبه للنبي ﷺ والحب له آثار في السلوك على هدي السنة.

اللهم اسقنا من حوض نبيك ﷺ شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدا.

«الحوقلة»

مفهومها، وفضائلها ودلالتها العقدية

«الحلقة الأخيرة»

إعداد: أ.د: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر
الأستاذ بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

مفاهيم خاطئة حول «لا حول ولا قوة إلا بالله»

مر معنا في مقالات سابقة معنى هذه الكلمة العظيمة وشيء من فضائلها، وذكر جملة من دلائلها العقدية، وسيكون الحديث في هذا العدد عن ذكر بعض المفاهيم الخاطئة المتعلقة بهذه الكلمة سواء في لفظها أو في معناها:

١- فمن ذلك أنَّ من الناس من يخطئ في استعمال هذه الكلمة فيجعلها كلمة استرجاع ولا يفهم منها معنى الاستعانة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وذلك أنّ هذه الكلمة - أي: لا حول ولا قوة إلا بالله - هي كلمة استعانة لا كلمة استرجاع، وكثيرٌ من الناس يقولها عند المصائب بمنزلة الاسترجاع، ويقولها جزعًا لا صبرًا».

٢- ومن ذلك ما حكاه بعض أهل اللغة أنه يقال فيها: «لا حيل ولا قوة إلا بالله».

قال النووي رحمه الله: «وحكى الجوهري لغةً غريبة ضعيفة أنه يقال لا حيل ولا قوة إلا بالله؛ بالياء، وقال: الحيل والحول بمعنى».

٣- ومن ذلك اختصار بعض العوام لها عند نطقها بقولهم: «لا حول الله»، وهذا من الاختصار المخلّ، مع ما فيه من الغفلة عن كمال الأذكار الشرعية في مبانيها ومعانيها.

وقد سُئل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله عن ذلك فقال: «إنهم يريدون «لا حول ولا قوة إلا بالله» فيكون الخطأ فيها في التعبير، والواجب أن تعدل على الوجه الذي يراد بها، فيقال: لا حول ولا قوة إلا بالله».

٤- ومن ذلك تحريف معناها عن غير وجهه وصرف دلالاتها عن مقصودها بالتأويلات البعيدة والتحريفات الباطلة، كقول يحيى بن ربيع الأشعري: «فإنها- أي كلمة لا حول ولا قوة إلا بالله- توقف على كلِّ جهة ما يليق بها، وتجعل للعبد قدرة كسبية حالية، وتجعل الإسناد للرب سبحانه وتعالى عن كلِّ شريك في ذاته وصفاته وأفعاله، وتثبت الاقتدار من العبد، وتثبت أحوالاً بلا واسطة وقدرة في جبر، وهذا من الحكْم العجيب جاءهم ليوافق قوله لا حول ولا قوة إلا بالله على نصّها من غير تأويل». [الفتوحات الربانية ١/٢٤٢]

قلت: بل هو عين التأويل الباطل، حيث جعل هذه الكلمة دالة على قول الأشاعرة بأنّ العبد له قدرة غير مؤثرة يسمونها الكسب، ومحصل ذلك تقرير قول الجبرية القائلين بنفي القدرة عن العبد؛ إذ لا فرق بين من يثبت للعبد قدرة غير مؤثرة، وبين من ينفي قدرته أصلا، ولهذا صرح هنا بانها «قدرة في جبر» لأنها قدرة غير مؤثرة، وغاية ذلك أن العبد مجبور على فعل نفسه كقول الجهمية سواء. والله أعلم.

والحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد..

من نور كتاب الله

﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾
[القصص:٨٣]

من هدي رسول الله ﷺ

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل على أعرابي يعوده، وكان إذا دخل على من يعوده قال: «لا بأس طهور إن شاء الله» أخرجه البخاري.

[البخاري ٤/٢٤٦]

من أقوال السلف

عن عون بن عبد الله قال: قال عبد الله: «نعم المجلس مجلس ينشر فيه الحكمة وترجى فيه الرحم».

[سنن الدارمي - ١/٧٥]

عن عمر بن الخطاب قال: إن الخير كله في الرضا فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر.

[مدارج السالكين - ٢/٢٢٩]

قال محمد بن الحنفية: الكمال في ثلاثة: العفة في الدين، والصبر على النوائب، وحسن تدبير في المعيشة. [أدب الدنيا والدين ص ٣٩٣]

حكم ومواعظ

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله خاف من كل شيء. [شعب الإيمان - ٣/٢٠٦]

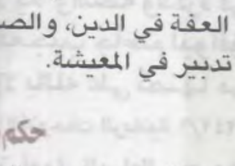

قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما منكم من أحد إلا وسيخلوا الله به يوم القيامة فيقول له: يا ابن آدم ماذا غرك بي؟ يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت.

[تفسير القرطبي - ١٠/١٦١]

من وصايا السلف

قال الحسن البصري: الفقيه الورع الزاهد المقيم على سنة محمد ﷺ، الذي لا يسخر بمن أسفل منه ولا يهزأ بمن فوقه ولا يأخذ على علمٍ علمهُ الله - عز وجل - حطامًا»

[الآداب الشرعية - ٢/٤٥]

من سير السلف الصالح

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت عمر بن الخطاب - وخرجت معه، حتى إذا دخل حائطًا فسمعته - يقول وبيني وبينه جدار وهو في جوف الحائط: «عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ، والله يا ابن الخطاب لتتقين الله أو ليُعذبنك».

[الموطا ٢/٩٩٢]

وصايا لطلاب العلم

من علامات العلم النافع

العمل به - كراهية التزكية والمدح والتكبر على الخلق - تكاثر تواضعك كلما ازددت علمًا - الهرب من حب الترؤس والشهرة والدنيا - إساءة الظن بالنفس وإحسانه بالناس تنزهًا عن الوقوع بهم، وقد كان عبد الله بن المبارك إذا ذكر أخلاق من سلف، قال:

لا تعرضن بذكرهم مع ذكرنا
ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

[حلية طالب العلم - ص٥١]

الأنبياء لا يعلمون الغيب

عن عائشة أنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله ﷺ على التماسه وأقام الناس معه ... فأتى

الناس إلى أبي بكر فقالوا: ألا ترى إلى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ وبالناس معه ... قالت عائشة: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته. [مسلم] باختصار

من درر علماء الجماعة

قال العلامة أبو الوفاء درويش: ترى كثيرًا من الناس إذا وقعوا في شدة من الشدات أو تعلقت أنفسهم برغبة من الرغبات يهتفون بأسماء يظنون أن أصحابها قادرون على إنقاذهم ممّا هم فيه من شدة، أو إظفارهم بما تطمح إليه قلوبهم من رغبة فيقولون: يا بدوي يا دسوقي، يا بيومي، يا رفاعي، يا جيلاني، يا عمي، يا شيخي. الخ، كما يفعلون كذلك في كل قَومة وقَعْدة وحركة وسكون، فهل هذا جائز شرعًا؟

نجد الجواب في قوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ﴾ [الرعد:١٤]، ومعناه أن الدعاء الحق الخليق بالاستجابة ما كان موجهًا إلى الله القدير، وأما ما كان موجهًا إلى غيره فهو باطل ذاهب في الهواء، طائر مع الريح لا يلقى استجابة ولا يظفر بقبول.

[صيحة الحق ص١٤٢]

مخالفة الشيعة لأهل السنة

الشيعة يخالفون المسلمين في أمور مهمة؛ منها:

- القرآن: يعتقدون زيادته ونقصانه، وتحريف بعض سوره وآياته.
- الحديث النبوي: لا يأخذون بما جاء في البخاري ومسلم وغيرهما.
- التوحيد: يدعون غير الله، وينذرون ويذبحون لغير الله، ويزعمون أن هناك قدرة خاصة للأولياء والأقطاب وآل البيت يدبرون الكون. والصوفية أخذوا عنهم هذه الاعتقادات الباطلة.

- علم الغيب: يزعمون أن معرفة الغيب من حق أئمتهم المعصومين، وليس من حق النبي ﷺ أن يخبر عن الغيب، وأن إمامهم سيخرج من السرداب، يذبح جميع خصومه من السياسيين، ويعيد إلى الشيعة حقوقهم المغتصبة.
- سب الصحابة: يلعنون أبا بكر وعمر وغيرهما، وقد بشرهم النبي بالجنة.
- العبادات: يخالفون المسلمين في الأذان، وكيفية الصلاة وأوقاتها.
- التقية: يخفي الشيعة عقيدتهم أحيانًا خوفًا من الناس.

[انظر الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب]

طرائف ونوادر

جاء رجل إلى أبي حنيفة فقال له: إذا نزعت ثيابي ودخلت النهر أغتسل فإلى القبلة أتوجه أم إلى غيرها؟ فقال له: الأفضل أن يكون وجهك تجاه ثيابك لئلا تُسرق.

تناقضات في حياتنا

نرى من ينكر على من تخرج من بيتها عفيفة مستترة لا تخالط الرجال ملتزمة بالحجاب مطيعة لربها.

ولا نرى من ينكر على من تخرج من بيتها متبرجة كاشفة عن جسدها مزاحمة للرجال غير ملتزمة بالحجاب عاصية لربها.

وقفات مع القصة في كتاب الله

قصة موسى عليه السلام

القسم الثاني (٧)

قصة موسى والخضر عليهما السلام.

بقلم/ عبد الرازق السيد عيد

الحمد لله الذي وسع كل شيء رحمة وعلمًا، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، يصرف الأمور بقدرته، ويحكم ما يريد بحكمته. وبعد:

أخي القارئ الكريم مازلنا مع الأمور العجيبة التي حدثت لبني إسرائيل فترة وجودهم في التيه ومنها قصة موسى عليه السلام مع الخَضر عليه السلام، وهذه القصة فيها من العبر والدروس، والأحكام والقواعد والفوائد الشيء الكثير الذي يضطرنا للحديث عنها على ثلاث مراحل:

الأولى: عرض موجز للقصة من خلال سياقها في كتاب الله عز وجل.

الثانية: وقفة مع الدروس المستفادة والأحكام والقواعد.

الثالثة: وقفة مع الخضِر عليه السلام وما قيل حوله وعنه.

ولنشرع في المقصود بعون الله: أولا: عرض موجز لأحداث القصة التي ذكرت مرة واحدة في سورة الكهف من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ

تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلاَمًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٧٦) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا الْغُلاَمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف: ٦٠- ٨٢].

وكما جاءت الأخبار الصحيحة: أن موسى عليه السلام قام ذات يوم في بني إسرائيل مقامًا عظيمًا، علمهم فيه علومًا جمّة وأعجب الناس بكمال علمه، فقال له قائل: يا نبي الله، هل تعلم في الأرض أحدًا أعلم منك؟ فقال: لا، بناءً على ما يعرفه، وترغيبًا لهم في الأخذ عنه، فأخبره الله أن له عبدًا في مجمع البحرين عنده علوم ليست عند موسى فاشتاق موسى إلى لقائه رغبة في الازدياد من العلم فطلب من الله أن يأذن له في الرحلة إليه فأذنَ له وأخبره بموضعه، وكيفية العثور عليه. وإلى أحداث القصة كما جاءت في سياق الآيات الكريمة:

١- واذكر يا محمد حين قال موسى لفتاه يوشع بن نون: لا أزال أتابع السير حتى أصل إلى ملتقى البحرين، أو أسير زمنًا طويلا حتى أصل إلى العبد الصالح لأتعلّم منه ما ليس عندي من العلم. (يوشع بن نون: قد نبّأه الله من بعد وسيكون لنا معه وقفة).

٢- وجدًا في السير، فلما وصلا ملتقى البحرين جلسا عند صخرة، ونسيا حوتهما وهذا الحوت قد أُمِر موسى أن يأخذه معه قوتًا لهما، وعلامة على مكان العبد الصالح. وأثناء جلوسهما على صخرة عند مجمع البحرين فإذا بالحوت المملح الميت يصير حيًا وينحدر في البحر، ويتخذ له في البحر طريقًا مفتوحًا.

٣- فلما فارقا المكان الذي نسيا فيه الحوت وشعر موسى بالجوع، قال لفتاه أحضر إلينا غذاءنا، لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا.

٤- قال فتاه: أتذكر حين أوينا إلى الصخرة التي استرحنا عندها؟ فإني نسيت أن أخبرك ما كان من أمر الحوت، وما أنسانى ذلك إلا الشيطان، فإنّ الحوت الميت دبت فيه الحياة، وقفز في البحر، واتخذ له فيه طريقًا وكان أمرًا عجيبًا.

٥- قال موسى: ما حصل هو ما كنّا نطلبه، فإنّه علامة على مكان العبد الصالح، الذي جئت أقصده، فرجعا أدراجهما حتى انتهيا إلى الصخرة.

٦- فوجدا هناك عبدًا صالحًا من عباد الله هو الخضر عليه السلام، وقد علمه الله علمًا مخصوصًا ليس عند موسى عليه السلام.

٧- سلم موسى على الخضر وطلب منه الصحبة ليتعلم منه مما علمه الله إياه علمًا يسترشد به موسى وينتفع.

٨- فأخبره الخضر أنه لن يطيق أن يصبر على اتباعه وملازمته لأنه سيفعل أمورًا تخفى عليه مما علمه الله.

٩- وأمام إصرار موسى عليه السلام وقوله ستجدني إن شاء الله صابرًا ولا أعصي لك أمرًا تأمرني به، وافق الخضر واشترط عليه ألا يسأله عن شيء ينكره عليه حتى يخبره عنه.

١٠- فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت بهما سفينة، فطلبا من أهلها أن يركبا معهم ولم يطلبوا منهما أجرًا، فلما ركبا السفينة قلع الخضر لوحًا من السفينة

فخرقها، فقال له موسى: أخرقت السفينة؛ لتغرق أهلها، وقد حملونا معهم بغير أجر؟ لقد فعلت أمرًا منكرًا.

قال: لقد قلت لك من أول الأمر: إنك لن تستطيع الصبر على صحبتي. قال موسى معتذرًا: لا تؤاخذني بنسياني شرطك، ولا تكلفني مشقةً في تعلمي منك وعاملني بيسر ورفق.

١١- قبل الخضر عذر موسى عليهما السلام ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر غلامًا يلعب مع الغلمان، فقتله الخضر، فأنكر موسى على الخضر هذه الفعلة بل واشتد به الغضب، فأي جرم أشد من قتل نفس بريئة بغير ذنب فعلته؟ وإن كانت الأولى من موسى عليه السلام نسيانًا فهذه لم يتحملها ولم يصبر عليها، ولهذا قال له الخضر معاتبًا ومذكرًا: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾.

١٢- وهنا اعترف موسى عليه السلام بصعوبة الأمر، وقال: ﴿ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ ﴾ بعد هذه المرّة (فلا تصاحبني) أي: فأنت معذور بذلك، بترك صحبتي ﴿ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾ أي: أعذرت مني، ولم تقصِّر.

١٣- فانطلقا: أي موسى والخضر عليهما السلام، حتى أتيا أهل قرية، فطلبا منهم طعامًا على سبيل الضيافة، فامتنع أهل القرية عن ضيافتهما وبينما هما يواصلان السير في القرية إذ وجدا فيها جدارًا مائلا يوشك أن يسقط، فشمر الخضر عن ساعديه وأخذ في تعديل بناء الجدار وإقامته مستويًا من جديد. فقال موسى: يمكنك أن تأخذ أجرًا على بناء هذا الجدار ندبر به لأنفسنا طعامًا حيث امتنع أهل القرية عن استضافتنا.

١٤- وهنا وقف الخضر وقال لموسى: قد حان وقت الفراق بيننا، وسأخبرك بخبر ما أنكرت عليَّ من أفعالي، وما يؤول إليه الأمر.

١٥- وهذه الأمور على النحو التالي:

* ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ ﴾ التي خرقها فإنها كانت لأناس مساكين يعملون في البحر عليها سعيًا على رزقهم، فأردت من إعابتها ألا تروق للملك الذي أمامهم يأخذ كل سفينة صالحة تمرُّ عليه ظلمًا وعدوانًا. وهذا من باب الشفقة والرحمة بهؤلاء المساكين، حتى إذا رأى الملك الظالم سفينتهم معيبة تركها لهم، وعندئذ يكون إصلاح العطب أسهل بكثير من ضياع السفينة منهم.

* ﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ ﴾ فإنه قدِّر أنه لو بلغ لأرهق أبويه طغيانًا وكفرًا، إما لمحبتهم إياه وحاجتهم إليه، وإما أن يجبرهما على الكفر بعد إذ كانا مؤمنَين فقتله كان حفاظًا على سلامة دين أبويه المؤمنين، وأي فائدة أعظم من هذه الفائدة الجليلة؟!! وهو وإن كان فيه إساءة عاجلة للوالدين فإن الله سيعطيهما من الذرية ما هو خير منه إضافة إلى حفظ دينهما.

* ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ ﴾ الذي أقمته فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحًا. أي حالهما تقتضي الرأفة بهما ورحمتهما لكونهما صغيرين عدما أباهما، وحفظهما الله أيضًا بصلاح والدهما. ولما كان أهل هذه القرية بهذا الشح الذي رأيته فكان من الحكمة حماية مالهما حتى يبلغا رشدهما، ولهذا هدمت الجدار وأعدت بناءه على أساس متين، وهذه الأشياء التي فعلتها لم أفعلها من عند نفسي، وإنما ذلك من رحمة الله بعباده وبأمره سبحانه، وذلك الذي فسرته لك: ﴿ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾.

وبهذا نكون قد قدّمنا عرضًا موجزًا لأحداث القصة، ولكن في هذه القصة العجيبة الجليلة من الفوائد والأحكام والقواعد الشرعية الشيء الكثير؛ منها: فضيلة العلم، والرحلة في طلبه، وأنه أهم الأمور، فإن موسى عليه السلام رحل مسافة طويلة، ولقي النصب في طلبه، بل وترك القعود عند بني إسرائيل لتعليمهم وإرشادهم، واختار السفر لزيادة العلم.

وهذه الأمور وغيرها مما يقتضي تفصيلها مقالا مستقلا، فإلى ذلك أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.

والله من وراء القصد.

أنصار السنة المحمدية أصول وقواعد منهجية

الحلقة الثالثة

بقلم

معاوية محمد هيكل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد..

فإذا كان المسلمون اليوم يتلمسون طريقًا للنهوض، فليس لهم من سبيل إلا وحدة جماعتهم، ووحدة الجماعة ليس لها من سبيل إلا الإسلام الصحيح، والإسلام الصحيح مصدره القرآن والسنة على طريقة سلف الأمة، وهذه خلاصة الاتجاه السلفي. عودة الإسلام إلى معينة الصافي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهذا هو الأصل الهام والمعلم البارز الذي تميز به أهل السنة عن غيرهم في الماضي والحاضر. وهذا ما نعرض له بالتفصيل في هذه الحلقة إن شاء الله فنقول بتوفيق الله:

ثالثًا: الاستدلال بالقرآن والسنة بفهم سلف الأمة

يعتمد المنهج الشرعي للاستدلال عند أهل السنة والجماعة على كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد ﷺ، وإجماع السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم، واختلف العلماء في القياس، ورجح الجمهور اعتباره مصدرًا من مصادر الاستدلال، إذا استوفى شروطه العلمية الصحيحة.

وأدلة الشريعة كثيرة لا تحصى في الأمر بتعظيم الكتاب والسنة والالتزام بهما والإعراض عما سواهما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء:٥٩]، قال ميمون بن مهران: «الرد إلى الله الرد إلى كتابه والرد إلى رسوله إن كان حيًا فإن قبضه الله إليه فالرد إلى سنته»

[الطبري ٥/١٥٥].

وقال الحافظ في الفتح: «فكأن التقدير: أطيعوا الله فيما نص عليكم القرآن وأطيعوا الرسول فيما بيّن لكم من القرآن وما ينصه عليكم من السنة، أو المعنى: أطيعوا الله فيما أمركم به من الوحي المتعبد بتلاوته وأطيعوا الرسول فيما يأمركم به من الوحي الذي ليس بالقرآن».

وقال الطيبي: «أعاد الفعل في قوله «وأطيعوا الرسول» إشارة إلى استقلال الرسول بالطاعة، ولم يعده في أولي الأمر إشارة إلى أنه يوجد فيهم من لم تجب طاعته».

ونهى سبحانه وتعالى عن التقديم بين يدي الله ورسوله، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات:١]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة»

[الطبري (١١٦/٢٦)].

فكل ما أمر به الشارع أو نهى عنه فحقه التعظيم والإجلال والامتثال وهذا هو طريق الفوز والفلاح قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور:٥١، ٥٢].

فإذا جاء الأمر من الله فلا مجال للاختيار أو التردد بل يجب التسليم والانقياد، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦].

وقد نفى الله الإيمان عمَّن أعرض عن كلام رسول الله ﷺ ولم يرضَ به أو وجد في نفسه حرجًا من ذلك، قال تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

وبيّن الله عز وجل أن سبب الإعراض عن طاعة

رسوله إنما هو اتباع الهوى، قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

وقد توعد الله عز وجل المخالفين لأوامره بقوله: ﴿.. فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]، وبقوله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

فاصل هذا الدين الاستسلام والخضوع والانقياد لله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢].

والاعتماد على المصادر الثلاثة المعصومة - وهي الكتاب والسنة والإجماع - هو أساس دين الإسلام.

منهج السلف في تعظيم نصوص الشريعة

لقد سطر السلف الصالح رضي الله عنهم أروع الأمثلة وأصدق المواقف في الالتزام بأمر النبي ﷺ وتعظيمه - والوقوف عند حدوده بدون زيادة أو نقصان، وقد ظهرت دلائل ذلك فيما يلي:

أولا: تعظيم كلام النبي ﷺ

عن أبي قتادة قال: كنا عند عمران بن حصين في رهط منا، وفينا بشير بن كعب، فحدثنا عمران يومئذ فقال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء خير كله» أو قال: «الحياء كله خير» قال بشير: إنا لنجد في بعض الكتب أو الحكمة: أن منه سكينة ووقارًا لله، ومنه ضعف! قال: فغضب عمران حتى احمرت عيناه وقال: ألا أراني أحدثك عن رسول الله ﷺ وتعارض فيه؟! قال: فأعاد عمران الحديث. قال: فأعاد بشير، فغضب عمران. قال: فما زلنا نقول فيه إنه منا يا أبا نجيد.. إنه لا بأس به!! - يعني: أنه ليس متهما بالنفاق -. [أخرجه مسلم (٦٤/١)]

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استاذنكم إليها». فقال بلال بن عبد الله : والله لنمنعهن! قال: فأقبل عليه عبد الله فسبه سبا سيئًا، ما سمعته سبه مثله قط، وقال: أخبرك عن رسول الله ﷺ، وتقول: والله، لنمنعهن؟!. [اخرجه مسلم (٣/١)]

وعن قبيصة الشامي: أن عبادة بن الصامت خرج مع رجل إلى أرض الروم فنظر إلى الناس وهم يتبايعون كسرة الذهب بالدنانير وكسرة الفضة بالدراهم، فقال: يا أيها الناس، إنكم تاكلون الربا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تبايعوا الذهب إلا مثلابمثل لا زيادة بينهما ولا نظرة» فقال رجل: لا أرى الربا يكون في هذا إلا ما كان من نظرة! فقال عبادة: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتحدثني عن رأيك؟! لئن أخرجني الله لا أساكنك بارض لك عليَّ فيها إمرة. فلما قفل لحق بالمدينة، فقال له عمر: ما اقدمك يا أبا الوليد؟! فقص عليه القصة، فقال: ارجع إلى أرضك وبلدك ولا إمرة له عليك، فقبح الله أرضا لست فيها وأمثالك.

[الإبانة (٢٥٧/١)]

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: تمتع النبي ﷺ (متعة الحج). فقال عروة بن الزبير: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة. فقال ابن عباس: أراهم سيهلكون، أقول: قال النبي ﷺ، ويقول: نهى أبو بكر وعمر!!.

[اخرجه احمد (٤٨/٢)]

وحدث أبو معاوية الضرير عند هارون الرشيد بحديث أبي هريرة: «احتج آدم وموسى» فقال أحد الحاضرين: كيف هذا وبين آدم وموسى ما بينهما؟! قال: فوثب هارون، وقال: يحدثك عن الرسول ﷺ وتعارض بكيف؟! فما زال يقول حتى سكت عنه. [عقيدة السلف (١١٧)]

وقال رجل للزهري: يا أبا بكر، حديث رسول الله ﷺ: «ليس منا من لطم الخدود»، و«ليس منا من لم يوقر كبيرنا»، وما أشبه هذا الحديث..؟! فأطرق الزهري ساعة، ثم رفع رأسه فقال: من الله عز وجل العلم، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم. [السنة للخلال (٥٧٩/٣)]

ثانيا: التثبت في فعل السنة والإنكار على من خالفها

من أجل ما تقدم كله كان السلف الصالح رضي الله عنهم أشد ما يكونون في التثبت والتحري في فعل السنة، فلا يفعلون شيئًا إلا بعلم، ولا يحكِّمون آراءهم، ولا يستحسنون بعقولهم عبادة لم تكن من هدي النبي ﷺ. فها هو ذا رجل يعطس إلى جنب عبد الله بن عمر، فيقول: الحمد لله،

والسلام على رسوله. فقال له عبد الله بن عمر: «وأنا أقول: الحمد لله والسلام على رسول الله، وليس هكذا علمنا رسول الله ﷺ، علمنا أن نقول: الحمد لله على كل حال».

[أخرجه الترمذي (٥/٨١)]

وعن ابن جريج أن طاووسًا أخبره: أنه سأل عبد الله بن عباس عن الركعتين بعد العصر؟ فنهاه عنهما، قال طاووس: فقلت له: ما أدعهما! فقال ابن عباس: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦]. [الفقيه والمتفقه (١/٤٦)]

ونظير هذا أن سعيد بن المسيب رأى رجلا يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين، يكثر فيهما الركوع والسجود فنهاه، فقال: يا أبا محمد، يعذبني الله على الصلاة؟! فقال: «لا.. ولكن يعذبك على خلاف السنة.

وقال رجل للإمام مالك بن أنس: يا أبا عبد الله، من أين أحرم؟! فقال مالك: من ذي الحليفة، من حيث أحرم رسول الله ﷺ . فقال: إني أريد أن أحرم من المسجد من عند القبر. قال: لا تفعل، فإني أخشى عليك الفتنة. فقال: وأي فتنة في هذه؟ إنما هي أميال أزيدها! قال: وأي فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ؟! إني سمعت الله يقول: ﴿.. فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

[الفقيه والمتفقه (١/١٤٨)]

ونلاحظ أن هذه الأمثلة للمخالفين عن السنة كانت من منطلق الاحتياط أو الزيادة في الطاعة، ومع ذلك فقد أكد الأئمة على تعظيم النصوص، والوقوف عند حدودها، وهم في ذلك على قاعدة عظيمة في تجريد الاتباع، ذكرها سعيد بن جبير وهي قوله: «قد أحسن من انتهى إلى ما سمع».

[أخرجها مسلم (١/١٩٩)]

وقال سفيان الثوري: «إن استطعت ألا تحك رأسك إلا بأثر فافعل». [ذم الكلام (١/١٨١)]

ولهذا قال الإمام البخاري: «وكانت الأئمة بعد النبي ﷺ يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة ليأخذوا بأسهلها. فإذا وضح الكتاب أو السنة لم يتعدوه، اقتداءً بالنبي ﷺ».

[فتح الباري (١٣/٣٣٩)]

وللإمام أحمد بن حنبل قصة لطيفة في هذا الباب نقلها عنه شيخ الإسلام ابن تيمية، قال فيها: «أحمد بن حنبل يستحب المتعة - متعة الحج - ويأمر بها، حتى يستحب هو وغيره من الأئمة - أئمة أهل الحديث - لمن أحرم مفردًا أو قارنا أن يفسخ ذلك إلى العمرة ويصير متمتعًا، لأن الأحاديث الصحيحة جاءت بذلك، حتى قال سلمة ابن شبيب للإمام أحمد: يا أبا عبد الله، قويت قلوب الرافضة لما أفتيت أهل خراسان بالمتعة! فقال: يا سلمة، كان يبلغني عنك أنك أحمق، وكنت أدفع عنك، والآن فقد ثبت عندي أنك أحمق، عندي أحد عشر حديثا صحيحًا عن النبي ﷺ، أتركها لقولك؟!». [منهاج السنة (٤/١٥١)]

ولهذا قال ابن القيم: «وقد كان السلف يشتد عليهم معارضة النصوص بآراء الرجال، ولا يقرون ذلك.

ومن الأمثلة التي يحسن ذكرها في هذا الباب: أنَّ الإمام عبد الله بن الزبير الحميدي قال: «روى الشافعي يومًا حديثًا فقلت: أتأخذ به؟ فقال: رأيتني خرجت من كنيسة، أو عليَّ زنار، حتى إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا لا أقول به؟!».

[حلية الأولياء (٩/١٠٦)]

ونظير هذا أن محمد بن إسحاق بن خزيمة قال: قلت لأحمد بن نصر - وحدث بخبر عن النبي ﷺ - أتأخذ به فقال ابن خزيمة: «أترى على وسطى زنارًا؟! لا تقل لخبر النبي ﷺ: أتأخذ به؟ وقل: أصحيح هو ذا؟ فإذا صح الخبر عن النبي ﷺ قلت به، شئت أو أبيت. [ذم الكلام (٢/١٧٨)]

دعوا السنة تمضي لا تعرضوا لها بالرأي

قال الشافعي: «أجمع المسلمون على أن من استبانت له السنة لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس». [إعلام الموقعين (٢/٢٨٣)]

- عن صدقة بن أبي عبد الله أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: «أصحاب الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، وتفلتت منهم أن يعوها واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا: لا نعلم، فعارضوا السنن

برأيهم، فإياكم وإياهم».

- وقال رضي الله عنه: «سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن، فخذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله».

- ولما أرسل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ابن عباس - رضي الله عنهما - إلى الخوارج قال له: «اذهب إليهم فخاصمهم، ولا تحاجهم بالقرآن، فإنه ذو وجوه، ولكن خاصمهم بالسنة».

[حجية السنة ٣٢٩]

وأخرج البيهقي في «المدخل» من طريق شبيب ابن أبي فضالة المكي، أن عمران بن حصين رضي الله عنه ذكر الشفاعة، فقال رجل من القوم: يا أبا نجيد، إنكم تحدثونا بأحاديث، لم نجد لها أصلا في القرآن فغضب عمران، وقال للرجل: قرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل وجدت فيه صلاة العشاء أربعًا، ووجدت المغرب ثلاثًا، والغداة ركعتين، والظهر أربعًا، والعصر أربعًا؟ قال: لا. قال: فعمن أخذتم ذلك؟ ألستم عنا أخذتموه، وأخذناه عن رسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟ أوجدتم فيه: في كل أربعين شاة شاة وفي كل كذا بعير كذا، وفي كل كذا درهما كذا؟ قال: لا، قال فعمن أخذتم؟ ألستم عنا أخذتموه، وأخذناه عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟ قال: في القرآن ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج:٢٩]، أوجدتم فيه: فطوفوا سبعًا واركعوا ركعتين خلف المقام؟ أوجدتم في القرآن: «لا شغار في الإسلام». أما سمعتم الله قال في القرآن: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧]. قال عمران: «فقد أخذنا عن رسول الله ﷺ أشياء ليس لكم بها علم». [حجية السنة ٣٣٠]

وعن عبد الرحمن بن زيد: أنه رأى محرما يحج وعليه ثيابه فقال: ائتني بآية من كتاب الله تنزع ثيابي قال: فقرأ عليه ﴿وما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧].

وثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه أن امرأة جاءت إليه، فقالت له: أنت الذي تقول: «لعن الله النامصات والمتنمصات والواشمات».. الحديث؟ قال: نعم. قالت: فإني قرأت كتاب الله من أوله إلى آخره، فلم أجد فيه ما تقول، فقال لها: إن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، أما قرأت: ﴿وما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾؟! قالت: بلى، قال: فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «لعن الله النامصات».

[البخاري (٤/٨٨٦)].

فكأن القوم قد كذبوا بالقرآن - أيضا لأن القرآن ألزمنا بطاعة رسول الله ﷺ مطلقًا.

وفي هذا رد واضح على أتباع الفرقة الضالة المنحرفة الذين يتسمون «بالقرآنيين»، وحقيقة مذهبهم رد الكتاب والسنة، فينبغي الحذر منهم والتحذير من منهجهم.

وبهذا يتبين أن الكتاب والسنة هما أصل الاستدلال، وهما المعيار الذي توزن به الآراء والاجتهادات، ولا يستقيم إيمان المرء إلا بتعظيمهما، وامتثال ما دلا عليه من القول والفعل والاعتقاد.

ويلخص الطحاوي منهج أهل السنة بقوله: «ولا تثبت قدم الإسلام إلى على ظهر التسليم والاستسلام. فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:

«وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم - يعني: أهل السنة - اعتصامهم بالكتاب والسنة فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان: أنه لا يقبل من أحد قط يعارض القرآن برأيه، ولا ذوقه، ولا معقوله، ولا قياسه، ولا وجده. فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدي ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هو أقوم». [الفتاوى (٢٨/١٣)]

وقال أيضا: «فمن بنى الكلام في العلم - الأصول والفروع - على الكتاب والسنة والآثار المأثورة عن السابقين فقد أصاب طريق النبوة. وكذلك من بنى الإرادة والعبادة والعمل والسماع المتعلق بأصول الأعمال وفروعها من الأحوال القلبية والأعمال البدنية على الإيمان والسنة والهدى الذي كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقد أصاب طريقة النبوة، وهذه طريقة أئمة الهدى..».

والله من وراء القصد

الإسلام الديمقراطي

بقلم / محمد رزق ساطور

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه وبعد:

تتعرض ديار المسلمين وعقائدهم في هذه الأيام لهجمة تتارية يهودية صليبية حاقدة تريد أن تأتي على الأخضر واليابس، فلم تكتف بسفك الدماء وانتهاك الحرمات، بل تبتغي أغلى ما يملكونه وما يعيشون به؛ ألا وهي معتقداتهم وأخلاقهم، وبدأ الغزو الفكري بإدخال مفاهيم غريبة على عقيدة المسلمين وديارهم، وأحدث هذه الغرائب ما قاله هبل في تصريحاته: أنه يريد الإسلام الديمقراطي، والغريب أنه وضع الاسم ثم وضع المعنى، فماذا يعني بالإسلام الديمقراطي؟!!

إنه يعني أن يكون المسلم مفرغًا من دينه فلا يعلم ولا يعمل ولا يدعو، بمعنى أن تختلط عنده الأحكام، ويستوي عنده الناس مسلمهم وكافرهم، وبمفهوم أوسع أن تضيع هوية المسلم فلا يكون مميزًا عن غيره في شيء، فلا شخصية متميزة بما أضفاه عليها الإسلام من العزة والكرامة والإباء ومحبة المؤمنين وبغض الكافرين والحذر منهم، ولا عقيدة صحيحة يتميز بها، لتصبح عقيدته عبارة عن مجموعة من المفاهيم القاصرة العاجزة الهشة، فيستوي عنده من يقول لا إله إلا الله، ومن يقول إن الله ثالث ثلاثة، يستوي عنده الحق مع الباطل، يستوي عنده العدل مع الظلم، ليكون عند ذلك صورة بغير روح، صنمًا أسك لا يصلح إلا لعبة في أيدي الصغار، وتلك نكبة أخرى.

لقد عاش الإسلام في المدينة مع اليهود ولكنه كان مميزًا بعقيدته التي لا تسمح بالتزايد، لدرجة أن اليهود طمعوا في المسلمين وظنوا أنهم سيجاملونهم فجاءوا لنبينا ﷺ، وكانت قريظة والنضير، وكان النضير أشرف من قريظة فكان إذا قتل رجل من قريظة رجلا من النضير قتل به وإذا قتل رجل من النضير رجلا من قريظة أدى مائة وسق من تمرًا فلما بعث رسول الله ﷺ قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فقالوا ادفعوه إلينا فقالوا بيننا وبينكم رسول الله، فنزلت ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة:٤٢]، ويقول تعالى: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة:٤٣]، فقد أخرج البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن ابن عمر أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ﷺ برجل منهم وامرأة قد زنيا فقال: «كيف تفعلون بمن زنى منكم؟» قالوا لا نجد فيها شيئا، فقال لهم عبد الله بن سلام: كذبتم؛ في التوراة الرجم «فاتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين» فجاءوا بالتوراة فوضع مدارسها الذي يدرسها منهم كفه على آية الرجم فقال ما هذه فلما رأوا ذلك قال: هي آية الرجم فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما قريبا من حيث توضع الجنائز عند المسجد، قال عبد الله فرأيت صاحبها يحني عليها يقيها الحجارة»، ثم يذكّر القرآن النصارى فيقول: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة:٤٧]، لكن هل هؤلاء الغزاة الحاقدون لهم دين يرجعون إليه أو يعظمونه؟! هل لهم خلق يقدرونه أو يوقرونه ويتصفوا به؟!

يبرهن الغزاة الحاقدون بشتى الطرق أنهم مستمرون في صراعهم ضد الإسلام والمسلمين فهم يدعون الرقي والحضارة والثقافة وهم أهل الأساطير والخرافات، ومن يلق نظرة في التاريخ يعرف أيهم أرقي فكريا المسلمون أم النصارى، فهم يدعون الناس إلى مناصبة العداء للمسلمين فيتهموننا بالظلم والوحشية لينسى الناس الفظائع التي ارتكبتها الحملات الصليبية، وقد أباحوا لأنفسهم صنوف الأكاذيب ليستفزوا شعوبهم ضد المسلمين ولا باس عندهم بالخيانة والغدر إذا كانت الخيانة والغدر تستنهض الهمم لمعاداة الإسلام والمسلمين.

لقد تخلت أمريكا عن كل تعهداتها السابقة من ادعاءات عن حقوق الإنسان، إلا إن كانوا

يعرفون الإنسان أنه غير المسلم، فقد انتشرت عندهم المعتقلات وطرق التعذيب والاعترافات الوهمية، ولما انتهت تحقيقاتهم وعلموا أن المسلمين براء من كل ما زعموه أخفوا نتائجها بزعم المحافظة على أمن أمريكا، لقد فشلوا فشلا ذريعًا في ديارهم، فجاءوا إلى ديارنا فيقولون نريد الإسلام الديمقراطي، ومعناه الاستسلام الذليل المهان، يريدون إسلامًا مهيض الجناح، منتهك القوى، إنهم كما قال القرآن عنهم ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾ [النساء:٤٤]، يريدون إسلامًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، لكي يعطي كل ما يملك لإخوان القردة والخنازير وعبد الطاغوت عن طيب خاطر، فيقول للغزاة المجرمين سفاكي الدماء والأعراض أنتم منقذو هذا العالم من الطغاة والمتجبرين.

الإسلام الديمقراطي: أن لا تقوم لعقيدة الجهاد قائمة وأن يبقى المسلمون في ديارهم منزوعي الكرامة والعزة، لأنهم يعلمون أن قوة المسلمين في دينهم.

روى أحمد أبو داود عن ابن عمر قال سمعت رسول الله يقول: «إذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعوا بالعينة واتبعوا أذناب البقر وتركوا الجهاد في سبيل الله أنزل الله بهم بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم».

إن هؤلاء الغزاة المجرمين إذا أرادوا أن يستبيحوا حرمة بلد من بلاد المسلمين لم يعجزوا عن اختلاق الأسباب المبررة لما أرادوا أن يفعلوا، والعذر الأقبح من كل ذنب قولهم أسلحة الدمار الشامل، وهذا العذر سيف موضوع الآن على أعناق جميع الحكام ليخضعوا ويستكينوا إلى أن يأتي عليهم الدور ألا لعنة الله على الظالمين، فمعلوم أن من دخل الحضانة أو الروضة لن يقف عندها بل هي مقدمة بين يدي التعليم الأساسي، وهذه مقدمة للمرحلة التالية، فعينه على الجامعة ولكن في حينها ثم الدراسات العليا ثم الدكتوراه، ثم على رئاسة القسم أو العمادة أو قل رئاسة الجامعة أو الوزارة وهكذا احتلال الشعوب، فليست العراق نهاية المطاف بل هي البداية، ومع تلك البداية الخبيثة بدأ هبل في شرح إسلامنا بموسوعة الإسلام الديمقراطي.

الإسلام الديمقراطي: أن ينشغل المسلم بنفسه ولا يسأل عن أخيه، ولا يفكر في دعوة غيره إلى الإسلام، فهم يريدون إسلامًا باهتًا لا يتميز بشيء، أقول لو أن أبا جهل عرض عليه وعلى من معه من كفار قريش هذا الإسلام الديمقراطي لما ترددوا لحظة في قبوله لأنه غير مكلف فلا يغير سلوكا ولا يترتب عليه شيء لا عمل ولا تعبد، فهو دين بلا دين.

إن إسلامنا تميزه عقيدة صافية خالصة صحيحة تربط العبد بربه سبحانه، كما تربطه بالناس، فالعلاقة بالله تعالى تقوم على تقديسه وتنزيهه عن كل عيب ونقص، فلا تنسب لله تعالى الولد ولا الصاحبة لأن في ذلك سبًا له سبحانه وشتما، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

فقد أخرج البخاري وأحمد والنسائي وابن حبان عن رسول الله ﷺ قال: قال الله عز وجل: كذبني ابن آدم ولم يكن له أن يكذبني وشتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني وليس الخلق بأهون عليَّ من إعادته، وأما شتمه فقوله: اتخذ الله ولدا وأنا الله الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد».

بل يعتبر من نسب لله تعالى الصاحبة والولد كافرًا خاسرًا في الدنيا والآخرة إلا أن يتوب ويسلم لله رب العالمين، فعند ذلك يؤتى أجره مرتين، فقد أخرج البخاري وأحمد والنسائي والبيهقي أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة يؤتون أجورهم مرتين .... ورجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم أدرك النبي ﷺ فآمن به».

إن هذه العقيدة تشعر المسلم بانفراده بتعظيم الله بعبادته ومعرفته، وفي الوقت نفسه تربطه بالناس على أساس المحبة والبغض بناء على هذه العقيدة، وحتى الذين نبغضهم لا نظلمهم ولا نعتدي عليهم ولا ننتهك حرمتهم بل نعاملهم بالعدل، وأما من نحبهم فنعاملهم بالرحمة، كما ندعو إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، ونجادلهم بالتي هي أحسن.

أسأل الله تعالى أن ينجينا من شر هبل وأعوانه، وأن يكفينا شر تحريف الإسلام إلى ما يزعمونه الإسلام الديمقراطي، وشر تخطيط الغزاة المجرمين، وأن يرد كيدهم في نحورهم، وأن يكفيناهم بما شاء وكيف شاء إنه على كل شيء قدير ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٦].

اقرأ من مكتبة المركز العام

التبصير في معالم الدين

للإمام الطبري

إعداد/ علاء خضر

المؤلف: الإمام المفسر الحافظ الفقيه أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري الأمالي صاحب التفسير المشهور.

مولده: ولد عام ٢٢٤هـ بمدينة آمل طبرستان حفظ القرآن وعمره سبع سنين وأمَّ الناس في الصلاة وعمره ثمان سنين وبدأ يكتب الحديث وعمره تسع سنين، وعندما جاوز البلوغ بدأ رحلته في طلب العلم والسماع من أكابر العلماء.

أخذ عن علماء كثيرين منهم محمد بن المثنى، ومحمد بن عبد الأعلى الصنعاني، والربيع بن سليمان الأزدي تلميذ الشافعي وغيرهم كثير، وسمع منه الإمام أبو أحمد عبد الله بن عدي صاحب كتاب الكامل في الضعفاء، والقاضي أبو بكر أحمد بن كامل وآخرين.

قال عنه الإمام محمد بن خزيمة: إني لا أعلم على أديم الأرض أحدًا أعلم منه.

وفاته: توفي عام ٣١٠هـ ببغداد.

موضوع الكتاب: بيان للعقيدة الإسلامية الصحيحة وشيء من أصولها التي وقع فيها التنازع خصوصًا من معتزلة عصر الإمام الطبري.

سبب تأليف الكتاب: بيَّن المؤلف رحمه الله في المقدمة سبب تأليفه لهذا الكتاب أن أهل السنة والجماعة ببلدته آمل طبرستان سألوه أن يبصرهم ببعض المسائل التي وقع فيها التنازع بينهم وبين أهل الأهواء في بلدتهم.

قيمة الكتاب: يظهر الكتاب وسطية أهل السنة بين الفرق فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل «الجهمية»، وأهل التمثيل «المشبهة». وفي باب أفعال الله بين «الجبرية» و«القدرية»، وفي باب أصحاب رسول الله ﷺ بين «الرافضة» و«الخوارج».

- نقل كثير من العلماء أجزاء من هذا الكتاب منهم: القاضي أبو يعلى في كتابه «إبطال التأويلات» وابن تيمية في «الحموية»، والذهبي في «العلو»، مما يظهر أهمية الكتاب وقوته العلمية عند العلماء.

منهج المؤلف: الاستشهاد بالنصوص من القرآن وصحيح السنة في تأصيل المسألة.

- يذكر أقوال الفرق وشبهاتها وبالأخص المعتزلة مبينًا ضعفها وعدم صحتها.

- يذكر في كل مسألة قول أهل الحق، أهل السنة والجماعة مصدرًا بقول: والحق عندنا في ذلك، أو: قال جمهور الأثبات.

طبعات الكتاب: طبعة بدراسة وتحقيق علي ابن عبد العزيز الشبل.

أهم مباحث الكتاب:

- بدأ المؤلف بمقدمة صغيرة ثم اتبعه بفصل في «القول في المعاني التي تُدركُ بها حقائقُ المعلومات من أُمور الدِّين، وما يسعُ الجهلُ به منْه، وما لا يَسعُ ذلك فيه، وما يعذرُ بالخطأ فيه المُجتهدُ الطَّالبُ، وما لا يعذرُ بذلك فيه».

- وفي القول فيما أدرك علمه من صفات الصانع خبرًا لا استدلالا قال: ولله تعالى ذكره أسماءٌ

وصفاتٌ جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيُّه ﷺ أمته، لا يسع أحدا من خلق الله قامت عليه الحجة بأن القرآن نزل به، وصح عنده قول رسول الله ﷺ فيما رُوي عنه به الخبر منه؛ لا يسع أحدًا خلافه؛ فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر على ما بينت فيما لا سبيل إلى إدراك حقيقة علمه إلا حسا؛ فمعذور بالجهل به الجاهل. لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالروية والفكرة.

وذلك نحو إخبار الله تعالى ذكره إيانا أنه سميع بصير، وأن له يدين لقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، وأن له يمينا لقوله: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر:٦٧]. وأن له وجهًا لقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨].

- وقال رحمه الله: فإن قال لنا قائل: فما الصواب من القول في معاني هذه الصفات التي ذكرت، وجاء ببعضها كتاب الله - عز وجل -، وجاء ببعضها رسول الله ﷺ.

قيل: الصواب من هذا القول عندنا، أن نثبت حقائقها على ما نعرف من جهة الإثبات وننفي التشبيه، كما نفي ذلك عن نفسه - جل ثناؤه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

إلى أن قال فإنَّ سميعًا اسمُ مبنيٌّ من سَمِعَ، وبصيرٌ من أبصر؛ فإن يكن جائزًا أن يقال: سمع وأبصر من لا سمع له ولا بصر، فإنه لجائز أن يقال: تكلم من لا كلام له، ورحم من لا رحمة له، وعاقب من لا عقاب له.

إلى أن قال: فمن أنكر شيئًا مما قلنا من ذلك، قلنا له: إن الله تعالى ذكره يقول في كتابه: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر:٢٢]. وقال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة:٢١٠]. وقال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلاَئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام:١٥٨].

فهل أنت مُصدِّقٌ بهذه الأخبار، أم أنت مُكذِّبُ بها؟

أ) فإن زعم أنه بها مُكذِّب، سقطت المناظرة بيننا وبينه من هذا الوجه.

ب) وإن زعم أنه بها مُصدِّقٌ، قيل له: فما أنكرت من الخبر الذي رُوي عن رسول الله ﷺ: «أنه يهبط إلى السماء الدنيا فينزل إليها»؟.

فإن قال: أنكرت ذلك؛ أن الهبوط نقلة، وأنه لا يجوز عليه الانتقال من مكانٍ إلي مكان؛ لأن ذلك من صفات الأجسام المخلوقة!

قيل له: فقد قال - جل ثناؤه -: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ فهل يجوز عليه المجيء؟ فإن قال: لا يجوز ذلك عليه، وإنما معنى هذا القول: وجاء أمر ربك.

قيل: قد أخبرنا - تبارك وتعالى - أنه يجيء هو والملكُ؛ فزعمت أنه يجيء أمره لا هو؛ فكذلك تقول: إن المَلك لا يجيء، إنما يجيءُ أمر المَلكِ لا المَلك؛ كما كان معنى مجيءِ الربِّ - تبارك وتعالى - مجيءَ أمرِهِ.

فإن قال: لا أقول ذلك في المَلكِ، ولكني أقوله في الرب.

قيل له: فإن الخبر عن مجيء الرب - تبارك وتعالى - والملك خبرٌ واحدٌ، فزعمت في الخبر عن الرب - تعالى ذكره - أنه يجيء أمره لا هو؛ وزعمتَ في الملكِ أنه يجيءُ بنفسهِ لا أمرهُ، فما الفرقُ بينك وبين من خالفك في ذلك.....

- ثم تعرض رحمه الله لذكر الخلاف الذي وقع في أمةِ محمدٍ ﷺ في أمور الدين والذي أدى إلى افتراقهم وتنازعهم.

فبدأ بالخلاف الأول في أمر الخلافة والإمامة فيما وقع بين الصحابة رضي الله عنهم في ثقيفة بني ساعدة وكيف لما بان لهم الحق سلموا بالأمر لأهله في حديثه ﷺ «الأمراء من قريش».

- ثم ذكر خلافًا آخر في أفعال الخلق فقال: فقالت فرقة ممن يَنْتحلُ جُملة الإسلام: ليس لله عز وجل في أفعال خلقه صنع غير المعرفة التي أعطاها للفعل كما أعطاهم الجوارح التي بها

يعملون. ثم أمرهم ونهاهم، فمن شاء منهم أطاع فله الثواب، ومن عصى فله العقاب.

قالوا: فلو كان لله جل ثناؤه صُنْعٌ في أفعال الخلق غير الذي قُلنا، بطل الثوابُ والعقابُ، وهذا قولُ القدريَّة.

وقال آخرون - منهم جهم بن صفوان وأصحابه -: ليس للعباد في أفعالهم وأعمالهم صنعٌ، وإنما يُضاف إليهم ذلك كما تُضاف حركة الشجرة إذا حركتها الريح إلى الشَّجرة، وليست لها حركةٌ وإنما حركتها الريح، وكما يُضافُ طُلوع الشَّمسِ إلى الشمس وليس لها فِعْلٌ وإنما أَطْلَعَها الله، وكذَهابِ الحجَرِ إذا رُمي به وليس له عملٌ، وإنما ذهب بدَفْع دافع.

وقالوا: لو جاز أن يكون فاعلٌ غير الله جاز أن يكون خالقٌ غيره. وقالوا: لا ثواب ولا عقاب، وإنما هو طِينتَان خُلقتا إحداهُما للنار وأخرى للجنة.

وقال آخرون - وهم جمهور أهل الإثبات وعامة العلماء والمتفقهة من المتقدمين والمتأخرين -: إن الله تعالى ذكره وفق أهل الإيمان للإيمان، وأهل الطاعة للطاعة، وخذل أهل الكفر والمعاصي، فكفروا بربهم، وعصوا أمره.

قالوا: فالطاعة والمعصية من العباد بسببٍ من الله تعالى ذكره وهو توفيقه للمؤمنين، وباختيار من العبد له.

قالوا: ولو كان القول كما قالت القدرية، الذين زعموا أن الله تعالى ذكره قد فوض إلى خلقه الأمر فهم يفعلون ما شاءوا، لبطلت حاجة الخلق إلى الله تعالى ذكره في أمر دينه، وارتفعت الرغبة إليه في معونته إياهم على طاعته.

قالوا: وفي رغبة المؤمنين في كلِّ وقتٍ أن يُعينهم على طاعته ويُوفقهم ويُسددهم، ما يدل على فساد ما قالوا.

- وفي الاختلاف في الكبائر قال: قال بعضهم: هم كفار، وهو قول الخوارج.

وقال بعضهم: ليسوا بالكفار الذين تحل دماؤهم وأموالهم، ولكنهم كفار نعمة، وهم منافقون؛ لأن لهم حكم المؤمنين.

وقال آخرون: ليسوا بمؤمنين ولا كفار، ولكنهم فسقة أعداء الله، ويوارثون في الدنيا المسلمين ويناكحونهم ويحكم لهم بحكم الإسلام، غير أنهم من أهل النار مخلدون فيها. وهذا قول المعتزلة.

وكُلُّ أهل هذه المقالات الثلاث التي وصفنا صفة قائليها يزعمون أن أهل الكبائر من أهل التوحيد مخلدون في النار لا يخرجون منها.

وقال آخرون: أهل الكبائر من أهل التوحيد الذين وحدوا اللهَ وصدّقوا رسول الله ﷺ، وأقروا بشرائع الإسلام يؤمنون بإيمان جبريل وميكائيل، وهم من أهل الجنة.

وقالوا: لا يضرهم مع الإيمان ذنب، صغير كانت أو كبير، كما لا ينفع مع الشرك عمل.

قالوا: والوعيد إنما هو لأهل الكفر بالله، المكذبين بما جاء به رسوله ﷺ.

ونقول: هم مسلمون بالإطلاق؛ لأن الإسلام اسم للخضوع والإذعان فكل مذعن لحكم الإسلام ممن وحَّد الله وصدَّق رسوله ﷺ بما جاء به من عنده، فهو مسلم.

ونقول: هم مسلمون فسقة عصاة لله ولرسوله. ولا ننزلهم جنة ولا نارا، ولكنا نقول كما قال الله تعالى ذكره: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨].

فنقول: هم في مشيئة الله تعالى ذكره، إن شاء أن يعذبهم عذبهم وأدخلهم النار بذنوبهم، وإن شاء عفا عنهم بفضله ورحمته فأدخلهم الجنة، غير أنه إن أدخلهم النار فعاقبهم بها لم يخلدهم فيها، ولكنه يعاقبهم فيها بقدر إجرامهم، ثم يخرجهم بعد عقوبته إياهم بقدر ما استحقوا فيدخلهم الجنة؛ لأن الله جل ثناؤه وعد على الطاعة الثواب، وأوعد على المعصية العقاب، ووعد أن يمحو بالحسنة السيئة ما لم تكن السيئة شركًا.

ثم ختم الكتاب باختلاف أهل القبلة في رؤية الله عز وجل ذاكرًا أقوالهم ومرجحًا لقول أهل السنة في إثبات رؤية الله عز وجل.

والحمد لله رب العالمين.

أطفال المسلمين، كيف

الحلقة السادسة عشرة

إعداد: جمال عبد الرحمن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

في هذه الحلقة نبين هدي رسولنا الكريم ﷺ في بناء شخصية سوية في الطفل بعيدًا عن التدليل المضر، والقسوة المهلكة، وكذلك زيارته ﷺ لمرضى الأطفال وإطعامه لجائعهم.

(٧٢) ويمنع ﷺ من ضربه في الأماكن الحساسة وعند الغضب

لا شك أن الذي يعاقب طفله وهو غضبان ستكون العقوبة أولاً غير مجدية، ثانيًا منفرة وقاسية، وستورث في الطفل الكراهية، ثالثًا يكون الضرب ساعتها ليس للتربية وإنما للتشفي وإخراج غل الصدر كله على الطفل المسكين، رابعًا فإن الغاضب بهذا الوصف في الغالب أنه لن يراعي حدود الله تعالى في ضوابط الضرب، فربما ضرب الوجه، أو ضرب أماكن حساسة كالرأس والرقبة والفرج؛ وهي أماكن لا يجوز ضربها، وربما سببت ضربة أليمة عاهةً مستديمة، بل ربما أودت بحياة الطفل أو الطفلة؛ والأمثلة كثيرة، والمآسي كثيرة، وقد أُتيَ عليٌّ رضي الله عنه برجل سكران أو في حد، فقال: اضرب وأعط كل عضو حقه، واتق الوجه والمذاكير(١). وقال ﷺ: « إذا ضرب أحدكم فليتق الوجه »(٢). ومن هنا ندرك قيمة تكرار النبي ﷺ الوصية لرجل كلما قال أوصني قال: « لا تغضب ». قال الرجل: ففكرت حين قال النبي ﷺ ما قال؛ فإذا الغضب يجمع الشر كله(٣).

(٧٣) ويمنع ﷺ تدليل الطفل وتمييعه لما له من مضرة

عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « إن الولد مَبْخَلة، مَجْبَنَة، مجهلة، مَحْزَنة »(٤).

قال المناوي: مبخلة بالمال عن إنفاقه في وجوه القُرَب، مجبنة عن الهجرة والجهاد، مجهلة لكونه يحمل على ترك الرحلة في طلب العلم والجد في تحصيله لاهتمامه بتحصيل المال له، محزنة يحمل أبويه على كثرة الحزن لكونه إن مرض حَزِنا، وإن طلب شيئًا لا قدرة لهما عليه حَزِنَا، فأكثر ما يفوت أبويه من الفلاح والصلاح بسببه، فإن شب وعق، فذلك الحزن الدائم والهم السرمدي اللازم(٥). اهـ.

وما سبق مما يحصل للوالدين بسبب الولد فإنما مصدره الحنان على الطفل والرأفة به، لكن؛ فكما أمر الإسلام بالحنان مع الطفل والرأفة في معاملته؛ فقد نهى عن الإفراط والغلو في هذا الحنان، فلا مفر في بعض الأوقات من الحزم والتخويف لترتدع نفس الطفل عن التمادي في الغي أو الانحراف، وكثير من الأطفال يردعهم مجرد رؤية العصا أو السوط، ويُلزمهم ظهور أداة العقوبة، فيسارعون إلى تجنب التعرض لها، فتستوي تصرفاتهم و يتصحح مسارهم. لذلك أوصى النبي ﷺ بتعليق العصا في البيت.

عن ابن عباس رضي اللهُ عنهما عن النبي ﷺ قال: « علِّقوا السوط حيث يراه أهل البيت »(٦).

وعنه أيضًا أن النبي ﷺ أمر بتعليق السوط في البيت(٧).

فالنبي صلوات الله وسلامه عليه لا يريد أن يكون من وراء حب الطفل والحنان عليه تدليلٌ

رباهم النبي الأمين ﷺ ؟

وتفريط، ومجاراةً للطفل في جميع أهوائه، فيفعل الطفل ما يشاء، ويقضي ما هو قاض؛ فإن ذلك جناية كبرى على الولد. والنبي ﷺ يقول: « ألاَ لا يجني جانٍ إلا على نفسه، ولا يجني والد على ولده، ولا يجني مولود على والده »(٨).

والجناية: الذنب والجرم، وما يفعله الإنسان مما يوجب عليه العذاب أو القصاص في الدنيا والآخرة(٩). فإذا فعل الإنسان ما يوجب العذاب على غيره؛ فهذه الجناية على الغير، كما يتسبب بعض الآباء في عذاب الله لأبنائهم بسبب تدليلهم وحبهم المفرط؛ مما ينتج عنه عدم الأخذ على أيديهم لتعويدهم طاعة الله والوقوف عند حدوده، والله تعالى أمر هؤلاء الآباء وأمثالهم، بل وسائر الذين آمنوا بقوله جل وعلا: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [سورة التحريم: ٦].

ضرر مخالطة الطفل لأهل الميوعة والدلال:

قال العلماء: ينبغي أن يُحفظ الصبي عن الصبيان الذين عُوّدوا التنعم والرفاهية، ولبس الثياب الفاخرة، وألاّ يُسمح له بمخالطتهم، فإن الصبي إذا أُهمل في بدء حياته خرج في الأغلب رديء الأخلاق، كذابًا، حسودًا، سروقًا، ذا فضول وكيد ومجانة. وإنما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التأديب، وكمال التربية. فينبغي ألا يسمح للطفل بمخالطة المدللين من الأطفال؛ لأنهم لا يصلحون للحياة التي تنتظرهم؛ فقد وجدوا الحياة سهلة ميسرة لهم، كلها نعيم ورخاء، واعتمدوا على ثروة آبائهم وأمهاتهم، فناموا واستعذبوا النوم، وصارت حياتهم كلها حياة خمول وكسل، وجعلوا ليلهم نهارًا، ونهارهم ليلاً، فنهارهم ليل وليلهم ويل، وأصبحوا جرثومة من الفساد، وإن المربين يرون أن أهم مرحلة في الحياة هي مرحلة الطفولة المبكرة، في الخمس سنوات الأولى من حياة الطفل. فإذا أهمل في بدء حياته صار غالبًا فاسد الخلق، كثير الكذب، كثير الحقد والحسد، كثير السرقة والنميمة والإلحاح، فضولياً يتدخل فيما لا يعنيه، ويكيد لغيره من زملائه، ذا مجون، لا يبالي بما يصنع، ولا يكترث لما يفعل.

ومن الممكن أن يحفظ من فساد الخلق. ومن هذه الرذائل كلها إذا عنينا بتربيته كل العناية في طفولته وأطوار حياته، ولا يستطيع أحد أن ينكر أثر البيئة في تربية الطفل.

(٧٤) ويزورهم ﷺ في مرضهم ويدعو لهم ويقرأ عليهم

كان للنبي ﷺ غلام يهودي يخدمه، فمرض ذلك الغلام، فأتاه النبي ﷺ يعوده (يزوره)، فقعد عند رأسه، فقال له: « أسلم ». فنظر الغلام إلى أبيه وهو عنده، فقال أبوه: أطع أبا القاسم، فأسلم الغلام ثم مات، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: « الحمد لله الذي أنقذه بي من النار »(١٠).

وعن السائب بن يزيد قال: ذهبت بي خالتي إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إن ابن أختي وجعٌ، قال: فمسح رأسي ودعا لي بالبركة، ثم توضأ فشربتُ من وَضوئه، ثم قمتُ خلف ظهره، فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحَجَلَة(١١)(١٢).

وعن البراء قال: دخلتُ على أبي بكر أول ما قدم المدينة، فإذا عائشة ابنته مضطجعة قد أصابتها حُمّى، فأتاها أبو بكر فقال لها: كيف

أنت يا بنية؟ وقبّل خدها(١٣).

(٧٥) ويصحح ﷺ بالحكمة مفاهيمهم وأخطاءهم

عن رافع بن عمرو الغفاري رضي الله عنه قال: كنت وأنا غلام أرمي نخلاً للأنصار، فأُتِيَ النبي ﷺ فقيل: إن ها هنا غلامًا يرمي نخلنا، فأُتِيَ بي إلى النبي ﷺ فقال: « يا غلام، لِمَ ترمي النخل؟ » قلت: آكل! قال: « فلا ترم النخل، وكُل ما يسقط في أسافلها »، ثم مسح رأسي وقال: « اللهم أشبع بطنه »(١٤).

قال الزرعي: يدل على إباحة الأكل، وأن الإباحة عند الجوع أولى، وقال غيره: إنما الإباحة للجوع والضرورة، ويكون إباحة الأكل فقط لا الحمل(١٥).

ويوضح النبي ﷺ هذا إيضاحًا أكثر؛ قال الترمذي: باب ما جاء في الرخصة في أكل الثمرة للمارّ بها:

عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: « من دخل حائطًا فليأكل ولا يتخذ خُبْنَةً »(١٦). ومعنى خُبنة: أي ما تحمله في حضنك. « لسان العرب ».

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ سُئل عن التمر المعلق؟ فقال: « من أصاب منه شيئًا من ذي حاجة غير متخذ خبنة فلا شيء عليه »(١٧).

ومثله حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: « إذا أتيت على راع فناد ثلاث مِرار، فإن أجابك وإلا فاشرب في غير أن تفسد، وإذا أتيت على حائط بستان فنادِ صاحب البستان ثلاث مرات، فإذا أجابك؛ وإلا فكُلْ في أن لا تفسد »(١٨).

قُلْتُ: وهذا كله محمول على الجوع والاضطرار والحاجة، وإلا فكل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه، فلا يحل لمسلم أن يأخذ من مال مسلم أو زرعه أو غيره، بدون إذنه أو بدون ضرورة وحاجة، والله أعلم.

إن النبي ﷺ حين يصحح الخطأ بصورة عملية، ويدلل على تصحيحه بالقواعد العامة الشرعية؛ يكون بذلك قد استأصل الخطأ من جذوره؛ وحقق ربحًا هائلاً في منهج التربية الإسلامية، وهذا الذي ينبغي أن يسير عليه المسلمون ويقتدي به المربون.

وهذا ابن عمر رضي اللهُ عنهما ينفذ القدوة في تصحيح خطأ الأطفال، فقد مرَّ بفتيان من قريش قد نصبوا طيرًا، وهم يرمونه، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال ابن عمر: مَن فعل هذا؟ لعن اللهُ مَن فعل هذا، إن رسول اللهِ ﷺ لعن مَن اتخذ شيئًا فيه الروح غرضًا(١٩).

الهوامش:

(١) أحكام القرآن، للجصاص ٣/٣٢٢، وابن أبي شيبة ج ٥، ص ٥٢٩.

(٢) مسلم٤٧٢٩، وأحمد ١٠٣١٤، بلفظ: « إذا قاتل أحدكم أخاه، فليتق الوجه، فإن اللّه عز وجل خلق آدم على صورته ».

(٣) البخاري ٥٦٥١، وأحمد ٢٢٠٨٨، وهذا لفظه.

(٤) صحيح الجامع ح ١٩٩٠.

(٥) شرح فيض القدير ج ٢، ص ٤٠٣.

(٦) صحيح الجامع ٤٠٢١.

(٧) السلسلة الصحيحة ح ١٤٤٧.

(٨) صحيح سنن ابن ماجه للألباني ح٣٠٤٦.

(٩) ابن الأثير في النهاية، باب (جني).

(١٠) البخاري ح١٢٦٨.

(١١) زر الحجلة: هو بيض نوع من الطيور.

(١٢) البخاري، كتاب الصلاة ١٨٣، ومسلم ٤٣٢٨.

(١٣) البخاري ٣٦٢٦، وأبو داود ٤٥٤٥.

(١٤) قال الزرعي في حاشية ابن القيم: صححه الترمذي. قُلْتُ: وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ح ٦٢١٠ وغيره، ويشهد للحديث أحاديث الترمذي وابن ماجه الصحيحة التي جاءت بعده.

(١٥) حاشية ابن القيم ج٧ ص٢٠٣.

(١٦) صحيح سنن الترمذي ح ١٨٧.

(١٧) صحيح سنن الترمذي ح ١٢٨٩.

(١٨) صحيح ابن ماجه ح ١٨٧٦.

(١٩) مسلم ٣٦١٩، والنسائي ٤٣٦٥.

أسئلة القراء عن الأحاديث

يجيب عليها:
أبو إسحاق الحويني

• يسأل القارئ: حمدين الشراكي محمد، فيقول: روى أبو داود في «سننه» حديث أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: «الأذنان من الرأس» وقال كلامًا عقب الحديث، لم أفهم مراده منه. فما هو مراده؟ وهل الحديث صحيح أم لا؟

والجوابُ بحولِ الملك الوهاب: أنه حديث «ضعيف».

فأخرج أبو داود (١٣٤) قال: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حمادٌ. (ح) وحدثنا مسدَّدٌ وقتيبةُ، عن حماد بن زيدٍ، عن سنان بن ربيعة، عن شهر بن حوشب، عن أبي أمامة، وذكر وضوء النبيِّ ﷺ، قال: كان رسول الله ﷺ يمسح المأقين، قال: وقال: «الأذنان من الرأس» قال سليمان بن حرب: يقولها أبو أمامة. قال قتيبة: قال حمادٌ: لا أدري هو من قول النبي ﷺ أو من أبي أمامة، يعني: قصة الأذنين. قال قتيبةُ: عن سنان أبي ربيعة. قال أبو داود: هو ابنُ ربيعة كنيتُهُ: أبو ربيعة» انتهى.

قُلْتُ: وأخرجه الترمذيُّ (٣٧) قال: حدثنا قتيبةُ بنُ سعيدٍ. وابنُ ماجة (٤٤٤)، والدارقطنيُّ (١/١٠٣) عن محمد بن زياد الزيادي. وأحمدُ في «مسنده»، وأبو عبيد في «كتاب الطهور» (٣٥٩،٨٨)، والطبرانيُّ في «الكبير» (ج٨/ رقم ٧٥٥٤) عن عفان بن مسلم. وأحمد أيضًا (٥/٢٦٤، ٢٧٨) قال: حدثنا يونس بن محمد المؤدِّبُ ويحيى بن إسحاق. والدارقطنيُّ (١/١٠٣)، والبيهقيُّ (١/٦٦-٦٧) عن سليمان بن حرب. والطحاوي في «شرح المعاني» (١/٣٣) عن يحيى بن حسَّان. وابنُ عدي في «الكامل» (٣/١٢٧٧) عن أحمد بن عبدة. وابنُ جرير في «تفسيره» (١١٣٨١ - شاكر) عن حماد بن أسامة. والدارقطنيُّ (١/١٠٣) عن الهيثم بن جميل، وأبي عمر الضرير، ومحمد بن أبي بكر. والطبرانيُّ في «الكبير» (٧٥٥٤) عن عارم، وخالد بن خداش وأبي عمر الضرير. والبيهقيُّ (١/٦٦) عن مسدَّد بن مسرهد وأبي الربيع الزهراني قالوا جميعًا: حدثنا حماد بن زيد، عن سنان بن ربيعة ورواه محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: ثنا حماد بن زيد بإسناده لكنه قال عن أبي أمامة أو عن أبي هريرة. هكذا على الشكِّ في صحابيِّ الحديث. أخرجه ابنُ جرير (١١٣٧٩). وكذلك شك مُعلَّى بن منصور فروى هذا الحديث عن حماد بن زيد بسنده فقال: «عن أبي أمامة عن النبي ﷺ أو عن أبي أمامة قال: الأذنان من الرأس».

أخرجه الدارقطنيُّ (١/١٠٣) عن محمد بن شاذان، نا مُعلَّى بن منصور. ولكني وجدتُ أبا كريب وهو محمد بن العلاء رواه عن مُعلَّى بن منصور، عن حماد بن زيد كما رواه الجماعة. أخرجه ابنُ جرير (١١٣٨٠).

قُلْتُ: فقد رأيت - أراك اللهُ الخير - أن خمسة عشر راويًا - فيهم جمعُ من الحفاظ الأثبات - رووا هذا الحديث عن حماد بن زيد بسنده فجزموا أن الحديث من «مسند أبي أمامة» وأنه مرفوعٌ إلى النبي ﷺ. وخالفهم سليمان بن حرب فجزم بأن قوله: «الأذنان من الرأس» من كلام أبي أمامة رضي الله عنه. فنظر الدارقطنيُّ في هذا الاختلاف، فقال عقب تخريجه الحديث: «أسند هؤلاء عن حماد، وخالفهم سليمان بن حربٍ، وهو ثقةٌ حافظٌ».

فهذا يدلُّ على أنَّ الدارقطنيَّ يرجح رواية سليمان بن حرب على رواية هؤلاء النفر، وفيهم من ذكرتُ من الحفاظ، وهذا يخالفُ القاعدة الكليَّة التي وضعها علماءُ الحديث في تعريف الشاذ، ولكن هذه القاعدة قد تتخلف أحيانًا لقرائن تكون عند الناقد، ولعل من القرائن التي اعتمد عليها الدارقطني في ترجيح رواية سليمان وحده أنه كان ذا خصوصيةٍ في حماد بن زيدٍ. فقد ذكر يعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (١/١٧٠) عن سليمان بن حربٍ قال: «اختلفت إلى شعبة، فلما مات جالستُ حماد بن زيد ولزمته حتى مات، جالستْهُ تسع عشرة سنة». ومن القرائن أيضًا الأخذ بالأقل عند الاختلاف، والأقلُّ أن يكون موقوفًا لا مرفوعًا، إنما أقولُ هذا تخريجًا لصنيع الدارقطنيّ رحمه الله، وإلا فالصواب عندي هو تقديم رواية الجماعة على روايته وحده، لا سيما وقد نقل الترمذي عن شيخه قتيبة بن سعيد أنه قال: قال حمادُ: لا أدري، هذا من قول النبيّ ﷺ أو من قول أبي أمامة؟ فدلَّنا ذلك على أن الذي شك في رفعه أو في وقفه إنما هو حماد بن زيد فتلقَّاهُ عنه الجماعة مرفوعًا، وسليمانُ بن حربٍ موقوفًا، وإذ الأمرُ كذلك فلا داعي لنصب الخلاف بين الرواة عن حمادٍ، ولا داعي أيضًا لقول سليمان ابن حرب فيما ذكره البيهقيَ إذ قال: «الأذنان من الرأس إنما هو من قول أبي أمامة، فمن قال غير هذا، فقد بدَّل، أو كلمة قالها سليمانُ، أي: أخطأ» انتهى، لأنه من العسير أن يهم أو يخطئ هذا الجمع الغفير من الثقات، ويتواطئوا على التبديل.

فهذا هو مرادُ أبي داود من التعليق على هذا الحديث. والله أعلم.

أما الحكمُ على الحديث، فهو الضعفُ، وقد قال الترمذيُّ عقبهُ: «ليس إسنادُهُ بذاك القائم» وسنان بن ربيعة وشهر بن حوشب متكلمٌ فيهما ولا يصحُّ في مسح المأقين حديث مرفوع. والمأق، ويقال أيضًا: الماق - بلا همزٍ - والموق: طرفُ العين الذي يلي الأنف.

وكذلك: «الأذنان من الرأس» قد رُوي مرفوعًا عن جماعةٍ من الصحابة ولا يصح منها شيءٌ كما جزم بذلك جماعةٌ من النقاد، والصوابُ أنه موقوف وقد استوفى شيخنا الألباني رحمه الله أحاديث هؤلاء الصحابة في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (رقم٣٦) ورجح الرفع لإسنادٍ وجده في «المعجم الكبير» للطبرانيّ وقال: «وهذا سندٌ صحيحٌ، رجالُهُ كلهم ثقات ولا أعلمُ له علَّةً..» وصحح الحديث وحكى عن بعض العلماء القول بأنه متواتر ولكني وقفتُ على علَّته، فإذا هي المخالفة كما ذكرتُهُ في «نوح الهديل بكشف ما في سنن أبي داود من التذييل» والحمد لله.

• ويسألُ القارئ: محفوظ عبد الرحمن شلبي فيقول: هل ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يتمنى أحدكم الموت لضر أصابه أو نزل به». فإذا صحَّ فكيف دعا الإمام البخاري على نفسه بالموت مع ثبوت هذا الحديث؟

والجواب بحول الملك الوهاب:

أن هذا الحديث صحيحٌ.

وقد ثبت من حديث أنسٍ، وأبي هريرة، وخباب بن الأرت رضي الله عنهم، وله شواهد عن آخرين من الصحابة في أسانيدها مقالٌ.

أمَّا كيف دعا الإمام البخاريُّ على نفسه، فلا بد من معرفة القصة على وجهها فاعلم أيها المسترشد أنه ثارت في أيام الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله فتنةٌ عمياء، وداهيةٌ دهياء، وفكرةٌ صلعاء، ألا وهي فتنةُ خلق القرآن ووقف لها جمعٌ من العلماء الربانيين وعلى رأسهم الإمامُ أحمد، حتى كسر الله عز وجل بهم شوكة الجهمية، فحوروا مرادهم بطريقة أخرى وهو أنهم قالوا: «لفظي بالقرآن مخلوق» و«اللَّفظ» كلمة مجملةٌ فقد يقصد بها الملفوظ - وهو القرآن - وقد يُقصد بها حركة اللسان فوقف الإمامُ أحمد ومحمد بن يحيى الذهلي مع جماعةٍ من أهل العلم لهذه البدعة الجديدة بالمرصاد، فلما أراد البخاريُّ رحمه الله أن يدخل نيسابور، قال عالمُها وفاضلُها محمد بن يحيى الذهلي - أحدُ مشايخ البخاري -: إن العبد الصالح محمد بن إسماعيل سيأتينا غدًا، فمن أراد أن يستقبله، فإني مستقبلُهُ فاستقبله الناس على ثلاثة فراسخ، ونثروا الحلوى على رؤوس الناس ابتهاجًا بمقدم هذا العبد الصالح، ونزل في دار

البخاريين في نيسابور، ثم بدأ يعقد مجالس الإملاء.

وقال أبو أحمد بنُ عدي: ذكر لي جماعةٌ من المشايخ أنَّ محمد بن إسماعيل لمَّا ورد نيسابور اجتمع الناسُ عليه، حَسَدَهُ بعضُ من كان في ذلك الوقتِ من مشايخ نيسابور لمَا رأوا إقبال الناس إليه، واجتماعَهم عليه، فقال لأصحاب الحديث: إن محمد بن إسماعيل يقول: اللفظ بالقرآن مخلوق، فامتحنوه في المجلس. فلما حضر الناسُ مجلسَ البخاري، قام إليه رجلٌ، فقال: يا أبا عبدِ الله، ما تقول في اللفظِ بالقرآن، مخلوقٌ هو أم غيرُ مخلوق؟ فأعرض عنه البخاريُ ولم يُجبْه. فقال الرجلُ: يا أبا عبد الله، فأعاد عليه القولَ، فأعرضَ عنه. ثم قال في الثالثة، فالتفتَ إليه البخاريُ، وقال: [القرآن كلام الله غير مخلوق وأفعال العباد مخلوقة والامتحان بدعة] فشغب الرجل وقال: قد قال لفظي بالقرآن مخلوق.

وذكر بعض أهل العلم أن هذا كان حسدًا من الذهلي على البخاري، وأنا أستبعد ذلك، فقد كان الذهلي من أفاضل أهل العلم وخيارهم، ولكن ما يُعابُ عليه أنه لم يتثبت من مقالة البخاري، فإن البخاري ما قال: لفظي بالقرآن مخلوق، إنما قال: أفعالنا مخلوقة... ثم امتدت المحنة حتى خرج البخاريُ من نيسابور، فاستقبلته محنةٌ أخرى عندما نزل بخارى. فقد قال بكر بن منير بن خليد بن عسكر: بعث الأمير خالد ابن أحمد الذهلي والي بخارى إلى محمد بن إسماعيل أن احملْ إليَّ كتاب «الجامع» و«التاريخ» وغيرهما لأسمع منك. فقال لرسوله: أنا لا أذلُّ العلمَ، ولا أحْمِلُه إلى أبوابِ الناس. فإن كانت لكَ إلى شيءٍ منه حاجةٌ، فاحضُر في مسجدي، أو في داري. وإن لم يعجبْك هذا فإنك سلطانٌ، فامنعني من المجلس، ليكون لي عذرٌ عند الله يومَ القيامة، لأني لا أكتُم علم، لقول النبيِّ ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ علم فَكَتَمَهُ أُلجِمَ بِلِجام مِنْ نار» فكان سبب الوحشة بينهما هذا.

فلمَّا وقع هذا للإمام خشي على دينه، قال ابنُ عدي: سمعتُ عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي يقول: جاء محمد بن إسماعيل إلى خَرْتَنْك - وهي قريةٌ على فرسخين من سمرقند، وكان له بها أقرباء، فنزل عندهم، فسمعتُهُ ليلةً يدعو، وقد فرغ من صلاة الليل: اللهم إنه ضاقت عليَّ الأرض بما رحبت، فاقبضني إليك، فما تمَّ الشهر حتى مات. وقد جعل جماعةُ العلماء حديث النهي عن تمني الموت خاصًا بالمصائب التي يبتلى العبدُ بها في الدنيا، أمَّا إذا خشي ذهاب دينه، فيشرع له أن يدعو بالموت، وقد عقد البخاري في «كتاب الفتن» (١٣/٧٤،٧٥) بابًا لذلك. فقال: «باب: لا تقوم الساعة حتى يغبط أهلُ القبور». ثم روى فيه حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا تقوم الساعة حتى يمرَّ الرجل بقبر الرجل، فيقول: يا ليتني مكانك». وهذا الحديث أخرجه مسلم أيضًا. وقال ابنُ عبد البر: «ظنَّ بعضهم أن حديث أبي هريرة معارض للنهي عن تمني الموت، وليس كذلك، إنما في حديث أبي هريرة أن هذا القدر سيكون لشدة تنزلُ بالناس من فساد الحال في الدين، أو ضعفه، أو خوف ذهابه، لا لضرر ينزل بالجسم، كما قال الحافظ، وكذلك أجاب القرطبيُ وغيرُهُ. وقد أثر عن جماعة من السلف أنهم تمنوا الموت خوف الفتنة في الدين، وأنا أذكر ما يحضرني من ذلك.

وقد ورد هذا المعنى في حديث ابن عباس مرفوعًا: «... وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون» أخرجه أحمد (١/٣٦٨)، والترمذيُ (٣٢٣٣) وصححه الألباني في (صحيح الترغيب ٤٠٥، ٤٥١) وصحيح الجامع (٥٩)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٢/١٦٩)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٦٨٢)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٢١٧-٢١٨) عن أبي قلابة، عن ابن عباس، ولكنه لا يصح لاضطرابه، ولانقطاع في سنده. وإنما نبهتُ على ذلك لأن بعض العلماء كابن كثير رحمه الله احتج به على هذا المعنى، وهو رائقٌ لو صَحَّ الحديث.

أما الآثار عن السلف رحمهم الله، فمنها:

١ - ما أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/٥١٨) من طريق بشر بن بكر حدثني الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير، حدثني أبو سلمة قال: عدتُ أبا هريرة، فسندتُهُ إلى صدري ثم قلتُ: اللهم اشف أبا هريرة. فقال: «اللهم لا ترجعها» ثم قال: إن استطعت يا أبا سلمة أن تموت فمُتْ. فقلت: يا أبا هريرة إنا لنحب الحياة. فقال: والذي نفسُ أبي هريرة بيده، ليأتين على العلماء زمانٌ الموت أحبُّ إلى أحدهم

من الذهب الأحمر، ليأتين أحدُكم قبر أخيه فيقول: ليتني مكانه. وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/٣٨٤) من طريق عبيد الله بن عمر، ثنا حماد بن زيد، ثنا أيوب، عن يحيى بن أبي كثير بهذا باختصار.

قال الحاكم: «صحيحٌ على شرط الشيخين، ولم يخرجاه». والصوابُ أنه على شرط البخاري، وبشر بن بكر لم يخرج له مسلمٌ شيئًا.

٢ - وما أخرجه أبو العباس الأصم في «الثاني من حديثه» (ق ٢/١٦٩-١/١٧٠) قال: أخبرنا العباس بن الوليد بن مزيد، أخبرني أبي، حدثني ابنُ جابر، عن عمير بن هانئ، أنه حدثه قال: كان أبو هريرة يمشي في سوق المدينة وهو يقول: اللهُمَّ لا تدركني سنة الستين، اللَّهُمَّ لا تدركني إمارة الصبيان».

وأخرجه أبو زرعة الدمشقي في «تاريخه» (٢٣٤) قال: أخبرنا أبو مُسهر، قال: حدثني صدقةُ بنُ خالد، عن ابن جابر، عن عمير بن هانئ، قال: كان أبو هريرة يقول: تشبثوا بصُدغي معاوية! اللَّهُمَّ لا تدركني سنة ستين! ثم أخرجه أبو زرعة (٢٣٥) من طريق الوليد بن مسلم عن ابن جابر بهذا الإسناد.

ثم زاد: «فتوفي أبو هريرة فيها أو قبلها بسنة».

وأخرج الطبرانيُّ في «الأوسط» (١٣٩٧) قال: حدثنا أحمد هو: ابن محمد بن صدقة قال: حدثنا محمد بن معمر البَحْراني، قال حدثنا رَوْح بن عُبادَة، قال حدثنا حماد بن سَلَمَة، عن علي بن زيد، عن أبي حازم.

عن أبي هريرة أنه قال: «في كيسي هذا حديث، لو حَدَّثْتُكُمُوْهُ لَرَجَمْتُمُوْني، ثم قال: اللهمَّ لا أَبْلُغَنْ رأسَ الستِّيْنَ. قالوا: وما رأسُ الستين؟ قال: إمارةُ الصبيان، وبَيْعُ الحُكْم، وكَثْرَةُ الشُّرَط، والشَهادةُ بالمعرفة، ويتخذُونَ الأمانةَ غَنِيْمَةً، والصَدقةَ مَغْرَمًا، ونَشْوٌ يتخذونَ القرآنَ مَزَامِيْرَ، قال حماد: وأظنُّهُ قال: والتهاونُ بالدَّم».

قال الطبرانيُّ: «لم يرو هذا الحديث عن علي بن زيد، إلا حمادٌ، تفرَّد به روح بنُ عبادة». وسندُهُ حسنٌ في المتابعات، وعلي بن زيد ضعيفٌ ولكن رواية حماد بن سلمة عنه أمثل من رواية غيره عنه كما قال أبو حاتم الرازي، قال الحافظ في «الفتح» (١/٢١٦): «يشيرُ - يعني: أبا هريرة - إلى خلافة يزيد بن معاوية، لأنها كانت سنة ستين من الهجرة».

وكأنه لأجل هذا ومثله كان أبو هريرة رضي الله عنه يقول: «حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين: فأمَّا أحدُهما فبثثته، وأمَّا الآخر، فلو بثثتهُ قُطع هذا البلعوم». أخرجه البخاري (١/٢١٦) من طريق عبد الحميد بن أبي أويس، والبزار في «مسنده» (ج٢/ق٢/١٧٧) من طريق بهلول بن مورق. وابنُ عدي في «الكامل» (١/٣٣) من طريق ابن أبي فديك قالوا: ثنا ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة.

وأخرجه البزار في «مسنده» (ج٢/ق٢/٢٢٩) قال: حدثنا الوليد بن عمرو بن سكين، نا كثير بن هاشم، حدثنا جعفر بن بُرقان، عن يزيد الأصم، عن أبي هريرة قال: عندي عن رسول الله ﷺ جرابان، قد حدثتكم بأحدهما، ولو حدثتكم بالآخر لفعلتم بي وفعلتم.

وهناك آثار أخرى عن جمع من الصحابة فيها الحسنُ الثابت والضعيف ذكرها نعيم بن حماد في «الفتن» (١/٧١-٧٧)، وأبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (١٧٨-١٨١)، والحاكم (٤/٤٨٦).

رأيت أن لا أطيل الأمر بذكرها. والله نسأل أن يقبضنا على التوحيد الخالص إنَّه جوادٌ كريم.

والحمد لله رب العالمين

قرار إشهار

رقم ١٣٠٣ بتاريخ ٥/٥/٢٠٠٣م

تشهد مديرية الشئون الاجتماعية بالشرقية بأنه قد تم إشهار جمعية / أنصار السنة المحمدية بقرية يمن مركز ههيا. وذلك طبقا للقانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢ بشأن الجمعيات والمؤسسات الخاصة واللائحة التنفيذية لذلك القانون.

الفتاوى

يجيب عليها لجنة الفتوى بالمركز العام

دفع الأموال لتسهيل المصالح

يسأل القارئ: محمد منير محمود:

هل إذا اضطرني أحد الموظفين لدفع مبلغ من المال لتسهيل قضاء مصلحة تخصني وإلا فيؤخرها عن موعدها؛ هل يجوز ذلك؟

الجواب: الواجب على المسلمين أن يكونوا ميسرين ولا يكونوا معسرين، فمن يسر على مسلم يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، وإذا كان المسلم على عمل من الأعمال يقوم فيه بقضاء حوائج الناس ومصالحهم؛ فلا يحل له أن يأخذ منهم أي نوع من المال زيادة على راتبه فإن ذلك إثم وسحت، ويزداد الإثم إذا أخر قضاء حاجات الناس ليلجئهم أن يدفعوا له نقودا لإنجازها، وعليهم ألا يدفعوا إليه شيئا حتى لا يعاونوه على المنكر الذي يفعله، والله تعالى يقول: ﴿ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ بل الواجب عليهم أن ينصحوه، فإذا لم يستجب رفعوا أمره إلى المسئولين عنه لئلا يتعود الموظفون سؤال الناس ما ليس من حقهم، فإذا اضطروهم إلى دفع مال لكي تقضى حاجاتهم فالإثم واقع على من طلب المال وليس على غيره.

الطهارة للمس المصحف

ويسأل أيضًا:

هل لابد من الوضوء عند لمس المصحف أو قراءة القرآن؟

للعلماء في ذلك خلاف واسع والأقرب للتقوى الخروج من الخلاف بالوضوء للمس المصحف عملا بظاهر الآية: ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ أي من الجنابة والحدث، ولفظ الآية صريح ومعناها الطلب.

وقيل المراد الكتاب الذي في السماء، لا يمسه إلا المطهرون، يعني الملائكة.

العمل في الإذاعة

ويسأل القارئ: راضي محروس صديق علي:

هل العمل في اتحاد الإذاعة والتلفزيون ومدينة الإنتاج الإعلامي في مجالاتها المختلفة مثل الأمن أو الإدارة وما شابه ذلك حلال أم حرام؟

الجواب: العمل في مثل هذه الأعمال جائز ما دام العامل يتقي الله فيما يعمل ويتجنب ما يغضب الله تعالى ولا يعين

على منكر ولا يتعاون على إثم قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾.

العجز عن وفاء النذر

وتسأل القارئة: س. ع:

قلت: لله عليّ إن رزقني بحمل هذا الشهر لأصومن الاثنين والخميس حتى أضع حملي، ولأصلين الصلاة أول وقتها، وحملت والحمد لله وصُمت، لكني لم أوفق في إقامة الصلاة في أول وقتها، فماذا أفعل؟

الجواب: من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه، ومن عجز عن أداء النذر على الصورة التي نذرها كفر كفارة يمين ولا شيء عليه لقول النبي ﷺ: «كفارة النذر كفارة اليمين» مسلم.

وكفارة اليمين هي إطعام عشرة مساكين من أوسط ما يطعم الإنسان أهله، أو كسوتهم كساءً يستر في الصلاة أو تحرير رقبة، فمن عجز عن شيء من هذه الثلاثة صام ثلاثة أيام، لا يشترط فيها التتابع.

مصير مخلفات الولادة

وتسأل القارئة: أم أسامة - غربية:

في عيادات الولادة تقوم التمرجية بإلقاء الحبل السُّري وما ينتج عن الولادة في صندوق القمامة، والتي لا نعرف لها مصيرًا (فهي إما أن تحرق، وإما أن تأكلها القطط والكلاب)، فما حكم الدين في ذلك؟

الجواب: لا نعلم نصًا أو أمرًا يفيد كيفية التعامل مع هذه المخلفات الآدمية، لكن لأنها بعض الآدمي وارتبطت بها من قبلُ حياةُ الجنين في بطن أمه، فلو دفنت كان ذلك أوْلى وخروجًا من الحرج.

ارتباك الدورة الشهرية (الحيض)

س: امرأة تحيض ستة أيام عادة، ثم استعملت اللولب فزادت مدة الحيض عن ستة أيام، فهل تتطهر وتصلي بعد الأيام الستة كما هي عادتها، أم تنتظر حتى ينقطع الدم؟

الجواب: لا تصلي هذه المرأة حتى تطهر.

وللطهر علامتان: القصة البيضاء، وهو ماء أبيض ينزل من الرحم علامة على انقضاء الحيض، والثاني: الجفاف وانقطاع الدم تمامًا.

فإذا استمر نزول الدم بغير انقطاع. انتقلت المرأة من حال الحيض إلى حال الاستحاضة، فتغتسل وتتطهر بعد انقضاء عادتها، ثم تصلي وتتوضأ لكل صلاة مكتوبة، وانتقالها من الحيض إلى الاستحاضة يكون باحتساب أيام حيضها المعتادة؛ أو بتغير أوصاف دم الحيض كلونه وريحه.

الصلاة بين الأعمدة والسواري

س: هل يجوز الصلاة بين الأعمدة، علمًا بأن المسجد الذي نصلي فيه تكثر فيه الأعمدة التي تقطع الصف، والمنبر يقطع الصف الأول.

الجواب: لا يجوز الاصطفاف بين الأعمدة إلا إذا ضاق المسجد، واحتاج الناس إلى ذلك.

وقد كان السلف يكرهون الصلاة بين السواري - أي الأعمدة - لأنها تقطع الصف.

والمنبر كذلك، ولهذا كان منبر النبي ﷺ ثلاث درجات لا يقطع الصف، ففي جعل المنبر بهذه الصورة فائدتان.

إحداهما: التزام السنة

الثانية: تحقيق المصلحة بحيث لا يضيق المسجد ولا ينقطع الصف الأول بطول المنبر. والله أعلم.

شروط المسح على الخفين

س: هل يشترط للمسح على الخفين أو الجوربين النية عند لبسهما؟

الجواب: يشترط للمسح على الخفين أو الجوربين أن يلبسهما على طهارة كاملة، وألا تزيد مدة المسح على يوم وليلة للمقيم، وثلاثة أيام ولياليهن للمسافر، ولا يشترط عند لبس الخفين أو الجوربين نية، بمعنى أنه لو توضأ ولبس خفيه أو جوربيه وليس في نيته أن يمسح عليهما، ثم

بدا له أن يمسح عليهما فلا مانع من ذلك، وإنما تشترط النية عند الوضوء والمسح، لأن الوضوء عبادة والمسح مأذون فيه وهو من تمام الوضوء، ولابد في العبادة من نية لقول الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» الحديث.

مواريث

س: امرأة كان لها من الأبناء ابنان وبنت ومات الابنان في حياتها ثم ماتت هي وتركت ابنتها ثم ماتت ابنتها. فكيف توزع تركة الأم على أبناء ابنيها وأبناء ابنتها.

الجواب: توزع التركة بين البنت التي كانت على قيد الحياة لحظة وفاة الأم، وبين أبناء وبنات الابن وذلك على النحو التالي:

(١) للبنت النصف فرضًا لانفرادها وعدم وجود ابن يعصبها ويوزع هذا النصف بعد ذلك على أولادها ميراثًا لهم من أمهم لأنها ماتت بعد استحقاق كامل نصيبها في التركة.

(٢) ويوزع النصف الباقي على أبناء وبنات الابن للذكر مثل حظ الأنثيين.

ولا مجال هنا لإعمال قانون الوصية الواجبة لأن من شروط إعماله أن يكون أبناء الأبناء غير وارثين.

والدليل قول الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾ [النساء:١١].

والآية تشمل بعمومها الأولاد، وأولاد الأولاد وذلك بالإجماع.

الدعاء الجماعي على القبر

ويسأل / وليد عبد الله حسن - الظاهر - السكاكيني - القاهرة:

عن حكم الدعاء الجماعي على القبر بحيث يدعو الشخص ويؤمن الحاضرون. وكذلك إقامة عزاء في إحدى دور المناسبات بالمساجد ولكن دون قراءة قرءان وإنما بحضور إخوة علماء يتحدثون بالموعظة للحاضرين ؟

الجواب: يجوز الوقوف عند قبر الميت بعد دفنه وإهالة التراب عليه للاستغفار والدعاء له بل ذلك مستحب، لما رواه أبو داود والحاكم وصححه عن عثمان رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: «استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل». ولم يرد في بيان صفة الاستغفار والدعاء للميت بعد الدفن حديث يعتمد عليه فيما نعلم وإنما ورد الأمر بمطلق الاستغفار والدعاء له بالتثبيت.

والتعزية مشروعة وفيها تعاون على الصبر على المصيبة دون الجلوس والاجتماع لها، ويكره الجلوس للتعزية والاجتماع من أجلها يوما أو أيامًا لأن ذلك لم يعرف عن النبي ﷺ ولا عن خلفائه الراشدين، لأن في جلوس أهل الميت واجتماع القريب بهم هذه المدة إثارة للحزن وتجديدًا له وتعطيلا لمصالحهم.

أما الجلوس اليسير حال التعزية ووجه فيه سؤال لعالم فأجاب عليه، أو ذكر أحد الحاضرين إخوانه بالموت ونحوه فلا حرج.

حكم الصلاة على المنتحر

وسأل أيضا:

ما حكم المنتحر مع علمه بجزاء ذلك الفعل، وهل يصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين؟

الجواب: «عن جابر بن سمرة قال: أتي النبي ﷺ برجل قتل نفسه بمشاقص فلم يصل عليه» [مسلم بشرح النووي والمشاقص هي سهام عراض].

قال النووي: في الحديث دليل لمن يقول: لا يصلى على قاتل نفسه لعصيانه، وهذا مذهب عمر بن عبد العزيز والأوزاعي، وقال الحسن والنخعي وقتادة ومالك وأبو حنيفة والشافعي وجماهير العلماء: يصلى عليه وأجابوا عن الحديث بأن النبي ﷺ لم يصل عليه بنفسه زجرًا للناس عن مثل فعله، وصلت عليه الصحابة، وهذا كما ترك النبي ﷺ في أول الأمر الصلاة على من عليه دين زجرًا لهم عن التساهل في الاستدانة وعن إهمال وفائه.. إلى أن قال: قال القاضي: مذهب العلماء كافة: الصلاة على كل مسلم ومحدود ومرجوم وقاتل نفسه وولد الزنا.

فتـــاوى

أجاب عليها:
فضيلة الشيخ ابن عثيمين
رحمه الله

المؤخرون لصلاة الفجر

سُئل: ما حكم مَن يؤخر صلاة الفجر حتى يخرج وقتها؟

أجاب: هؤلاء الذين يؤخرون صلاة الفجر حتى يخرج وقت الفجر إن كانوا يعتقدون حلَّ ذلك فإن هذا كفر بالله عز وجل؛ لأن من اعتقد حل تأخير الصلاة عن وقتها بلا عذر فإنه كافر لمخالفته الكتاب والسنة، وإجماع المسلمين.

أما إذا كان لا يرى حل ذلك، ويرى أنه عاص بالتأخير لكن غلبته نفسه وغلبه النوم فعليه أن يتوب إلى الله عز وجل، وأن يقلع عما كان يفعله وباب التوبة مفتوح حتى لأكفر الكافرين، فإن الله يقول: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣]، وعلى من علم بهم أن ينصحهم ويوجههم إلى الخير، فإن تابوا وإلا فعليه أن يبلغ الجهات المسئولة عن هذا الأمر حتى تبرأ ذمته، وحتى تقوم الجهات المسئولة بتأديب هذا وأمثاله. والله الموفق.

امرأة تصلي وزوجها لا يصلي

سُئل: ما حكم بقاء المرأة المتزوجة بزوج لا يصلي وله أولاد منها؟ وحكم تزويج من لا يصلي؟

أجاب: إذا تزوجت امرأة بزوج لا يصلي مع الجماعة ولا في بيته فإن النكاح ليس بصحيح؛ لأن تارك الصلاة كافر، كما دل على ذلك الكتاب العزيز، والسنة المطهرة، وأقوال الصحابة، كما قال عبد الله بن شقيق، «كان أصحاب النبي ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة».

والكافر لا تحل له المرأة المسلمة لقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لاَ هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ [الممتحنة: ١٠].

وإذا حدث له ترك الصلاة بعد عقد النكاح فإن النكاح ينفسخ إلا أن يتوب ويرجع إلى الإسلام، وبعض العلماء يقيد ذلك بانقضاء العدة فإذا انقضت العدة لم يحل له الرجوع إذا أسلم إلا بعقد جديد، وعلى المرأة أن تفارقه ولا تمكنه من نفسها حتى يتوب ويصلي، ولو كان معها أولاد منه؛ لأن الأولاد في هذه الحال لا حضانة لأبيهم فيهم.

وعلى هذا أحذر إخواني المسلمين من أن يزوجوا بناتهم ومن لهم ولاية عليهم بمن لا يصلي لعظم الخطر في ذلك، ولا يحابوا في هذا الأمر قريبًا ولا صديقًا. وأسأل الله الهداية للجميع، والله أعلم.

أذان المسجل

سُئل: هل يصح الأذان بالمسجل؟

أجاب: الأذان بالمسجل غير صحيح؛ لأن الأذان عبادة والعبادة لابد لها من نيّة.

الداخل إلى المسجد حين الأذان

سُئل: إذا دخل الإنسان المسجد والمؤذن يؤذن فما الأفضل له؟

الجواب: الأفضل أن يجيب المؤذن ثم يدعو بعد ذلك بما ورد، ثم يدخل في تحية المسجد، إلا أن بعض العلماء استثنوا من ذلك من دخل المسجد والمؤذن يؤذن يوم الجمعة الأذان الثاني فإنه يصلي تحية المسجد لأجل أن يستمع الخطبة، وعللوا ذلك بأن استماع الخطبة واجب وإجابة المؤذن ليست واجبة، والمحافظة على الواجب أولى من المحافظة على غير الواجب.

ترديد الإقامة

سئل: هل يتابع الإنسان في الإقامة؟

أجاب: المتابعة في الإقامة فيها حديث أخرجه أبو داود، لكنه ضعيف لا تقوم به الحجة، والراجح أنه لا يتابع.

الخشوع في الصلاة وعند التلاوة

سئل: كيف يمكننا الخشوع في الصلاة، وعند قراءة القرآن في الصلاة وخارجها؟

أجاب: الخشوع هو لُب الصلاة ومخها، ومعناه حضور القلب، وألا يتجول قلب المصلي يمينًا وشمالاً، وإذا أحس الإنسان بشيء يصرفه عن الخشوع فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم كما أمر بذلك النبي ﷺ، ولا شك أن الشيطان حريص على إفساد جميع العبادات لا سيما الصلاة التي هي أفضل العبادات بعد الشهادتين، فيأتي المصلي ويقول: اذكر كذا، اذكر كذا، ويجعله يسترسل في الهواجس التي ليس منها فائدة، والتي تزول عن رأسه بمجرد انتهائه من الصلاة.

فعلى الإنسان أن يحرص غاية الحرص على الإقبال على الله- عز وجل- وإذا أحس بشيء من هذه الهواجس والوساوس فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم سواء كان راكعًا، أو في التشهد، أو القعود، أو في غير ذلك من صلاته.

ومن أفضل الأسباب التي تعينه على الخشوع في صلاته أن يستحضر أنه واقف بين يدي الله وأنه يناجي ربه عز وجل.

ما يقال في الرفع من الركوع

سئل: بعض الناس يزيد كلمة «الشكر» بعد قوله: ربنا ولك الحمد، فما رأي فضيلتكم؟

أجاب: لا شك أن التقيد بالأذكار الواردة هو الأفضل، فإذا رفع الإنسان من الركوع فليقل: ربنا ولك الحمد، ولا يزيد والشكر لعدم ورودها.

وبهذه المناسبة فإن الصفات الواردة في هذا المكان أربع:

١- ربنا ولك الحمد.
٢- ربنا لك الحمد.
٣- اللهم ربنا لك الحمد.
٤- اللهم ربنا ولك الحمد.

فهذه الصفات الأربع تقولها، لكن لا تُقال جميعًا، ولكن تقول هذه مرة وهذه مرة، ففي بعض الصلوات تقول: ربنا ولك الحمد، وفي بعضها: اللهم ربنا لك الحمد، وفي بعضها: اللهم ربنا ولك الحمد.

وأما الشكر فليست واردة، فالأولى تركها.

صلاة الجماعة في المسكن

سئل: مجموعة من الأشخاص يسكنون في مكان واحد، فهل يجوز لهم أن يصلوا جماعة في ذلك المسكن أو يلزمهم الخروج إلى المسجد؟

أجاب: الواجب على هؤلاء الجماعة الذين هم في مسكن أن يصلوا في المساجد، فكل إنسان حوله مسجد يجب عليه أن يصلي في المسجد، ولا يجوز لأحد، أو لجماعة أن يصلوا في البيت والمسجد قريب منهم، أما إذا كان المسجد بعيدًا ولا يسمعون النداء فلا حرج عليهم أن يصلوا جماعة في البيت، وتهاون بعض الناس في هذه المسألة مبني على قول لبعض العلماء رحمهم الله من أن المقصود في صلاة الجماعة أن يجتمع الناس على الصلاة ولو في غير المسجد، فإذا صلى الناس جماعة ولو في بيوتهم فإنهم قد قاموا بالواجب.

ولكن الصحيح أنه لابد أن تكون الجماعة في المساجد؛ لقول النبي ﷺ: «لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس، ثم أنطلق برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار». مع أن هؤلاء القوم قد يكونوا صلوا في أماكنهم.

فيجب على تلك المجموعة أن يصلوا مع الجماعة في المسجد إلا إذا كانوا بعيدين بُعدًا يشق عليهم.

منزلة النبي صلى الله عليه وسلم

الحلقة
الأولى

شوقي عبد الصادق عبد الحميد

أولا: مكانة النبي ﷺ عند ربه

الحمد لله الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله قد أنزله ربه مقامًا رفيعًا ومنزلة عالية فى الدنيا والآخرة تجلت هذه المكانة فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة فى أمور منها:

١ - لم يناده سبحانه باسمه المفرد والمجرد من أعظم الصفات وهي الرسالة أو النبوة في مثل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ...﴾ [المائدة:٤١]، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾ [المائدة:٦٧]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ...﴾ [الطلاق:١]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب:١]، حتى في مواطن العتاب لم يسلب عنه القرآن هذه الصفة العظيمة فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التحريم:١]، قال ابن كثير: عن مسروق قال: آلى رسول الله ﷺ وحرم فعوتب في التحريم وأمر بالكفارة في اليمين، وزكى معلمه فقال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ [النجم: ٥، ٦]، وزكى قلبه فقال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١]، وزكى لسانه فقال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣، ٤] وزكى خلقه فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

٢ - رفع ذكره حيث يذكر في شهادة الحق والإسلام فالشهادة له بالرسالة صنو الشهادة لله بالوحدانية ويُقر المسلم بذلك في صلاته في التشهد والأذان، والدعاء موقوف حتى يصلي الداعي عليه لما روي عن علي رضي الله عنه مرفوعًا «كل دعاء محجوب حتى يُصلى على النبي ﷺ» قال الألباني في الصحيحة: «حسن إن شاء الله» وأمر تعالى بالصلاة عليه في قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]، وحبب الله الخلق فى التسليم عليه بعد موته لينالوا شرف رده السلام عليهم لما رواه أبو هريرة وحسنه الألباني في الصحيحة برقم (٢٢٦٦) وما من أحد يُسلِّم عليَّ إلا رد الله عليَّ روحي حتى أرد عليه السلام».

٣ - أمر بتعظيمه فلا يرفع الصوت على صوته لا حيًا ولا ميتًا بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ...﴾ [الحجرات:٢].

٤ - أمر تعالى بتعظيم قضائه وحكمه وجعل ذلك أمارة الإيمان في مثل قوله تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ...﴾ [النساء: ٦٥]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦].

٥ - كثرة أسمائه، وكثرة الأسماء دليل على شرف المسمى لما رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري: «كان رسول الله يسمي لنا نفسه أسماءً فقال: «أنا محمد، وأحمد، والمقفي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة».

٦ - عظم الله سبحانه إحساسه وشعوره فأمر المسلمين بتعظيم ذلك في مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً...﴾ [المجادلة:١٢]، قال ابن كثير عن قتادة ومقاتل سأل الناس رسول الله حتى أحفوه، فقطعهم بالمسألة، فقطعهم الله بهذه الآية فكان الرجل منهم إذا كانت له الحاجة إلى النبي فلا يستطيع أن يقضيها حتى يقدم بين يديه صدقة فاشتد ذلك عليهم فأنزل الله الرخصة بعد ذلك ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[المجادلة:١٢]، وكقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلاَ مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ...﴾ [الأحزاب:٥٣].

٧ - قِدَمُ نُبُوَّتِه ﷺ لما رواه ميسرة الفجر وأخرجه أحمد وذكره الألباني في الصحيحة (١٨٥٦) «كُنْتُ نبيًا وآدم بين الروح والجسد».

٨ - جعل سبحانه الكتاب المنزل عليه مُهيمنًا على الكتب السابقة في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ...﴾ [المائدة:٤٨]، ولما أخرجه الطيالسي والطحاوي والطبراني وحسنه الألباني (١٤٨٠) في الصحيحة عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعطيت مكان التوراة السبع الطوال ومكان الزبور المئين ومكان الإنجيل المثاني وفضلت بالمفصّل».

٩ - تعظيم شأن حياته الزوجية وهذا من خصوصياته فلا يُنكح أحد من أزواجه من بعده كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٣].

١٠ - أعطاه ربه المقام المحمود والشفاعة العظمى فقال تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩]، وأخرج أحمد وغيره عن أبي هريرة مرفوعًا قال رسول الله ﷺ «المقام المحمود: الشفاعة» والتي يتأخر عنها أولوا العزم ويتقدم لها النبي ﷺ بتقديم الله له.

١١ - جعل الله له السبق في فتح باب الجنة لما أخرجه مسلم عن أنس مرفوعًا: «أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة»، وفي أخرى عنه: «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتحُ فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: «محمد» فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك».

ثانيا: مكانته ﷺ عند المؤمنين

وقد بلغت مكانته عند الصحابة شأنها السابق وعلى رأسهم صديق هذه الأمة الذي صدق من أول لحظة دعاه فيها ولزمه كسمعه وبصره وجاهد معه بماله وولده وصحبه في طريق دعوته كلها وكان رفيق الهجرة.

ذكر ابن كثير في البداية والنهاية عن ابن إسحق قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أذن لي في الخروج والهجرة» قالت عائشة: فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله؟ قال: «الصحبة» قالت: فوالله ما شعرت قبل ذلك اليوم أن أحدًا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي، وقال ابن كثير روى البغوي عن ابن أبي مليكة أن النبي ﷺ لما خرج هو وأبو بكر إلى ثور جعل أبو بكر يكون أمام النبي مرة وخلفه مرة فسأله النبي ﷺ عن ذلك، فقال إذا كنت خلفك خشيت أن تؤتى من أمامك، وإذا كنت أمامك خشيت أن تؤتى من خلفك. حتى إذا انتهى لغار ثور قال أبو بكر: كما أنت حتى أُدخِل يدي فأحسه وأقصه، فإن كانت دابة أصابتني قبلك قال نافع: فبلغني أنه كان في الغار جحر فألقم أبو بكر رجله ذلك الجحر تخوفًا أن يخرج منه دابة أو شيء يؤذي رسول الله ﷺ.

٢ - وقد عظموا شأنه وكانوا لا يرفعون أصواتهم عنده ولا سيما بعد أن نزل من الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ...﴾، والشاهد على ذلك ما رواه البخاري عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس رضي الله عنه أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر، قال نافع: لا أحفظ اسمه، فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا...﴾ الآية قال ابن الزبير فما كان عمر رضي الله عنه يُسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه، وبلغت الحساسية في الاحترام والتوقير والأدب معه عليه السلام مبلغها في هذه الصورة الفريدة للصحابي الجليل ثابت بن قيس بن شماس، ذكر ابن كثير في تفسيره قال: وقال ابن جرير فيما يروي عن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس عن

أبيه: لما نزلت الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ... ﴾ الآية، قال قعد ثابت بن قيس في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال: ما يبكيك؟ قال هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت فيَّ وأنا صيِّت رفيع الصوت؛ قال: فمضى عاصم إلى رسول الله ﷺ، قال: وغلبه البكاء، فأتى امرأته جميلة ابنة عبد الله بن أبي بن سلول فقال لها: إذا دخلت بيت فرش فشدي علي الضبة بمسمار فضربته بمسمار وقال: لا أخرج حتى يتوفاني الله تعالى أو يرضى عني رسول الله ﷺ قال فأتى عاصم رضي الله عنه رسول الله ﷺ فأخبره خبره فقال «اذهب فادعه لي» فجاء عاصم رضي الله عنه إلى المكان فلم يجده فجاء إلى أهله فوجده في بيت الفرش، فقال له: إن رسول الله ﷺ يدعوك، فقال اكسر الضبه، قال: فخرجا فأتيا النبي ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا ثابت؟» فقال رضي الله عنه: أنا صيت، وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت فيَّ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ... ﴾ [الحجرات:٢]، فقال له النبي ﷺ: «أما ترضى أن تعيش حميدًا وتقتل شهيدًا وتدخل الجنة؟» فقال رضيت ببشرى الله تعالى ورسوله ﷺ ولا أرفع صوتي أبدا على صوت رسول الله ﷺ قال وأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ... ﴾ [الحجرات:٣].

٣ ـ كانوا حريصين على هذا التعظيم وأن يظهروه ولا سيما إذا كان هناك عيون وجواسيس أو مفاوضون من الأعداء، وأوضح مثال على ذلك ما تم في صلح الحديبية وأورد ذلك ابن كثير في تفسيره في قصة الحديبية وقصة الصلح فيما رواه الإمام أحمد عن المسور بن مخرمه ومروان بن الحكم والحديث طويل ونأخذ الشاهد منه على ما نقول: لما أرسلت قريش عروة بن مسعود وجعل يتحدث إلى رسول الله ﷺ وحوله أصحابه رضي الله عنهم قال عروة بن مسعود: وايم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدًا وأبو بكر قاعد خلف رسول الله ﷺ فقال: امصَص بَظر اللات، أنحن ننكشف عنه؟ قال من هذا يا محمد؟ قال ﷺ: «هذا ابن أبي قحافة» قال: أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها ولكن هذه بها، ثم تناول لحية رسول الله ﷺ والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ بالحديد فقرع يده، ثم قال: أمسك يدك عن لحية رسول الله ﷺ قبل والله أن لا تصل إليك، قال دعيك ما أفظك وأغلظك فتبسم رسول الله ﷺ قال من هذا يا محمد؟ قال ﷺ: «هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة» فكلمه الرسول بمثل ما كلم به أصحابه، وأخبره أنه لم يأت لحرب، فقام من عنده وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ وضوءًا إلا ابتدروه، ولا يبصق بصاقًا إلا ابتدروه، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه، فعلوا كل ذلك لينقل للعدو تعظيم المؤمنين للرسول الذي آمنوا به وقد كان، فرجع إلى قريش فقال إني جئت كسرى في ملكه وجئت قيصر والنجاشي في ملكهما، والله ما رأيت ملكًا قط مثل محمد في أصحابه ولقد رأيت قومًا لا يسلمونه لشيء أبدًا. فقد تبركوا بآثاره دون أن يعبدوه أو يدعوه من دون الله أو يستغيثوا به أو يطلبوا منه وردًا أو يسألوه دفع ضر أو جلب نفع، فقد أخرج مسلم عن أنس قال كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سُلَيْم فينام على فراشها وليست فيه، فجاء ذات يوم فنام على فراشها، فأُتيت فقيل لها هذا النبي ﷺ نائم في بيتك على فراشك قال فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها ففزع النبي ﷺ فقال ما تصنعين يا أم سليم؟ فقالت يا رسول الله نرجوا بركته لصبياننا. قال: «أصبت» وهي أم أنس والتي جاءت به تقدمه للرسول وهو طفل رضيع وطلبت منه أن يدعو الله لولدها أنس راوي الحديث فدعا له فقال «اللهم أطل عمره وأكثر ماله وولده وأدخله الجنة» فكانوا يتبركون بآثاره ولكن إذا دعوا دعوا الله وطلبوا من رسول الله أن يدعو لهم الله لعلمهم بأنه مجاب الدعاء، فعظموه ولم يعبدوه لأنهم كانوا أعرف الناس بقوله ﷺ: «لا تُطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبد الله ورسوله فقولوا: عبد الله ورسوله».

وللحديث بقية إن شاء الله

الإيمان والثقة بالله والصبر أقوى أسباب النصر

إعداد

محمد محيي الدين

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ * وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ * وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٠-٣٤].

لقد كان من العجب العاجب أن تقوم قريش في وجه صاحب الدعوة إلى الإسلام ﷺ وهم أهله وعشيرته وذوو قرباه، وأحق الناس بالانتصار له، والذياد عنه؛ إن اعتدى عليه أحد، كان عجيبًا حقا أن يقوم هؤلاء بالتأليب عليه وتنفير الناس منه، وهم أولو العصبية وأصحاب الحمية التي ترى أنه لا وجود للقبيلة ما لم يأخذ كل واحد منها بنصرة أخيه على من يعترض له، ويضحي في سبيل ذلك بالنفس والمال إن اقتضى الأمر هذه التضحية.

وكان عجيبا أبلغ العجب أن تتمادى في مساءتة، وتبذل في سبيل ذلك ألجهود الكبيرة. ثم لا تكتفي بالسخرية منه وممن اتبعه، ولا بتهديده وتهديد قرابته الأدنين بالمقاطعة والحرمان من الطعام والشراب، ولا بما فعلته من تشريد أنصاره عن أوطانهم، وإصابتهم في أنفسهم وفي أموالهم. وكان أعجب من هذا كله أن يصبر ﷺ على أذاهم ويامر أصحابه بالصبر، ويزيد في سماحة الخلق وكرم النفس، فيدعو الله أن يهديهم ويوفقهم إلى الاستجابة له؛ لأنه يحب لهم الخير، ويعلم أن الخير في اتباع هذا الدين الذي جاء به من عند الله. ولو كان محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ رجلا كعامة الرجال لأشفق على نفسه وعلى أصحابه الذين اتبعوه وعلى أعمامه الذين أخذوا أنفسهم بالانتصار له، وإن لم يتركوا دين آبائهم إلى دينه. ولخاف على نفسه وعلى هؤلاء وهؤلاء لجاجة قريش في أذاهم وافتنانها في التنكيل بهم. ولكن كان رجلا عظيم الثقة بأنه على حق يجب أن يخضع له البشر جميعا. قوي الإيمان بأنه ليس ساحرًا ولا كاهنًا ولا شاعرًا ولا اعتراه بعض آلهة قومه بسوء ـ كما كانوا يقولون عنه ـ وأنه لا يتلقى هذا الوحي من الجن كما كان الكهان ولا يتعلمه عن بشر كما زعم قادة الإجرام ولكنه تنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبه لينذر به قوما لدا. وكان مع هذا كله لا يشك في أن الله متم نوره. ومكمل به ما أراد للعالم من الصلاح والسعادة. لذلك لم تهن عزيمته. ولم تضعف قوته، ولم تفت في عضده الأحداث. بل كان كلما زادت قريش وأحلافها في أذاه والنكاية به محاولين صده عن سبيل ربه زاد هو مضاء في دعوته واستهانة بما يلقاه منهم بل كان ذلك أحلى في قلبه وأعذب أن يصبر لله، ويصابر في إعلاء كلمة الله، ويرفع لواء الحق الذي أحبه الله، ويزهق الباطل الذي يبغضه الله. ولو كان محمد ـ صلوات الله عليه ـ رجلا كعامة الرجال لملأ قلبه اليأس، فانصرف عن هذه الدعوة وألقى حملها عن ظهره، فقد لبث في قومه ثلاثة عشر عامًا يدعو ويلح في دعوته، وينذر ويبالغ في إنذاره، فلم يستجب له إلا نفر قليل ليس فيهم صناديد قريش الذين تقتفي العامة آثارهم وتسير على ما يرسمون لها من طريق. وهؤلاء الذين آمنوا معه ليس في استطاعاتهم أن يدفعوا عنه، ولا أن يدفعوا عن

أنفسهم. إذا أرادهم القوم بالسوء. ولكن كيف يطرق اليأس نفسه، وهي النفس المملوءة يقينا بأن الله غالب على أمره. والمفعمة ثقة بأن للحق يوما يظهر فيه على الباطل فيدمغه. وإذا كان أهل مكة لم يستجيبوا له، فلماذا لا يطلب النصر عند غيرهم ممن لا يكون قد ملئ حقدًا وحسدًا، ولا يكون فيه من الغرور والكبر ما عند أهل مكة، وليس له من الرياسة الزائفة ما يحرص عليه أهل مكة الذين كانوا يزعموا أنهم سادات الداعين، وهم في خوف أن تقضي هذه الدعوة الجديدة على رياستهم التي لا تعتمد إلا على الغرور والباطل.

ويبدو له هذا الخاطر - خاطر أن يعرض على غير قريش من قبائل العرب دعوته التي بعثه الله بها رحمة للعالمين إلى سبل السلام وليخرج الناس من الظلمات إلى النور ومبشرًا بما يستقبل الجزيرة من الفلاح والغلبة. بل بما يستقبل الإنسانية جمعاء من السعادة والرخاء - إذا هم اتبعوه - وسرعان ما يأخذ في امضاء هذا الخاطر. وكيف يتوانى ويتردد في إمضائه. أليس هو رسول الله إلى الناس كافة؟ أليس هو النور الذي حمل سراجه المنير نازلا من السماء لهداية البشر أجمعين؟ إذن فما باله لا يعرضه لأعين الناس جميعا، ويوجهه إلى قلوب الناس جميعا ليهتدي به من لم يصب عينه عشى الكبر والحسد ومن لم يطبع الله على قلبه، وكيف يتوانى ويتردد في إمضائه! أليس هؤلاء الذين حرص على أن يكونوا أول حملة هذا السراج قد خيبوا ظنه وضيعوا الكثير من آماله؟ فما باله إذن يؤثرهم ويقصر عليهم دعوته؟.

ها هو ذا يمضي إلى الطائف حيث تقيم ثقيف. وها هو ذا يجدُّ في البحث عن سادة ثقيف وأشرافهم وأهل الرأي فيهم، حتى يجد ثلاثة أخوة، هم يومئذ قادة القوم وأصحاب السلطان فيهم وهم عبدياليل، ومسعود، وحبيب أبناء عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن ثقيف وها هو ذا يجلس إليهم فيدعوهم إلى الله ويكلمهم بما عنده، ويطلب إليهم نصرته والقيام معه على من خالفه من قومه. فيواجهونه بما لا يحب فيقول له أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك. ويقول الآخر أما وجد الله أحدًا غيرك يرسله؟ ويقول الثالث: والله لا أكلمك أبدًا. لئن كنت رسولا من الله كما تقول، لأنت أعظم خطرًا من أن أرد عليك الكلام. ولئن كنت تكذب على الله فينبغي أن لا أكلمك. فإذا يئس منهم ولم تبد له لائحة خير فيهم قال لهم: «أما إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني». يريد ألا يبلغ خبره قريشا فيعلموا هذه الخطة الجديدة فيأخذوا عليه أفواه الطرق ويغلقوا دونه قلوب الناس.

ولم يكن عند ثقيف بقية من كرم الخلق. فلم يقبلوا منه ما جاءهم به ولم تطب أنفسهم بالكتمان عنه بل أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به ويحصبونه بالحصى، حتى اجتمع عليه الناس وألجئوه إلى بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة. وهما جالسان فيه. فعمد إلى ظل كرمة فجلس فيه، وابنا ربيعة ينظران إليه ويريان ما يلقى من سفهاء ثقيف. حتى إذا اطمأن في مجلسه وتفرق عنه هؤلاء الأوشاب أخذ يناجي ربه. «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي. وقلة حيلتي. وهواني على الناس. يا أرحم الراحمين. أنت رب المستضعفين. وأنت ربي. إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أو إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي. ولكن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو تحل عليَّ سخطك. لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله». وأتى كندة في منازلهم فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه. فأبوا عليه. وأتى بطنا من بني كلب يقال لهم بنو عبد الله. فعرض عليهم نفسه فلم يقبلوا منه وأتى بني حنيفة فدعاهم إلى الله فلم يكن أحد أقبح عليه ردًا منهم.

اللهم غفرًا. هذا محمد رسولك وصفوتك من خلقك والداعي إلى صراطك المستقيم وسبيلك الذي رضيته لخلقك يبذل من نفسه كل جهد ولا يألو في إعلان ما أرسلته به، ولا يجد ناصرا ولا يلقي معينا؟. هؤلاء أقاربه قطعوا أواصر القربى ومزقوا كل وشائج الرحم وهلهلوا العواطف التي من شأنها عندهم وعند غيرهم أن تصل فيما بين الناس. وهؤلاء الأباعد يتجهمونه ويغرون به السفهاء والعبيد يصيحون به ويرجمونه بالأحجار ولا يرضون منه بما يرضى به أقل العرب استمساكا بأحسن الأخلاق أن يكتموا عنه ما أفضى به إليهم من دخيلة نفسه وهو مع كل هذه البلايا التي تكفي واحدة منها لزعزعة رواسي الجبال - صابر مطمئن النفس عالم أنه ما

جاء أحد بمثل ما جاء به إلا عودي وأوذي واثق أن العاقبة للمتقين. وليس يخاف شيئًا إلا أن يكون بك غضب عليه. فعفوك اللهم ورضاك وتأييدك أنه لا معين له سواك.

وتعلم قريش بما كان منه وما كان من ثقيف وكندة وبني حنيفة فيعلمون أنه فكر في الانتصار عليهم بقبائل العرب وأنه أخذ لذلك أهبته. فيحذر بعضهم بعضا ويتناذرون فيما بينهم فصاحة لسانه وشدة أسر بيانه. وما يكون لذلك ولغيره من خلال الخير التي جبله الله عليها من التأثير على الناس حتى ائتمروا فيما بينهم إلا يتركوه يلقي أحدًا ممن يفد على مكة لزيارة البيت الحرام إلا حذروه أمره، ودسوا له ليجنبوه فيما زعموا الخديعة به، فكانوا لا يسمعون بقادم إلا تعرضوا له فقالوا: إنك قد قدمت بلادنا. وقد ظهر بيننا رجل أعضل بنا وفرق جماعتنا وشتت أمرنا. وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه وبين الرجل وبين زوجه. وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا تكلمنه ولا تسمعن منه شيئًا. وربما كثر الوافدون على مكة كما يكون في موسم الحج، فلم يستطيعوا أن يتحدثوا إلى الوافدين جميعا. فامكنت رسول الله ﷺ فاستطاع أن يلتقي بقوم من الوافدين وأن يعرض عليهم ما عنده، فما هو إلا أن يأخذ في الحديث اليوم حتى يكون الأمر قد بلغ قريشا فتراهم مسرعين إليه يفسدون عليه أمره، حدث عبد الله بن عباس: «إني لغلام شاب مع أبي بمنى، ورسول الله ﷺ يقف على منازل من العرب فيقول: يا بني فلان. إني رسول الله إليكم. يامركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا. وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا وتصدقوا بي ومنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به، قال: وخلفه رجل أحول وضيء له غديرتان وعليه حلة عدنية. فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله وما دعا إليه قال ذلك الرجل: يا بني فلان. إن هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم. وتسلخوا حلفاءكم من الجن من بني مالك بن اقيش. إلى ما جاء به من البدعة والضلالة. فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه. قال عبد الله: فقلت لأبي: يا أبت من هذا الذي يتبعه ويرد عليه ما يقول فقال: هذا عمه عبد العزي بن عبد المطلب. وهو أبو لهب».

ولكن عين عين الله تلحظه في خطواته كلها، وقد كفل الله له أن يعصمه من الناس. وعنده من اليقين وقوة الإرادة وصادق المعرفة بأنه إذا عز المطلب هانت التضحية في سبيله. فهو لا يبالي محاولة أعداء الحق في إطفاء نوره. ولا يعبأ بما يلاقيه في سبيل بلوغ غايته. وإذا أراد الله انفاذ أمر هيأ له أسبابه. فسار في الطريق الموصلة إليه فلم يعترضه من عقابيل الناس شيء مهما يحكموا أمرها. فقد حدث في السنين الأخيرة من مقامه بمكة أربع حوادث كانت لها الأثر الفعال في عزة الإسلام والمسلمين، أولها أنه قدم مكة قوم من أهل المدينة من بني عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ وأبو الحيسر أنس بن رافع يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج فسمع بهم رسول الله ﷺ فاتاهم فجلس إليهم. فقال لهم: هل لكم في خير مما جئتم له؟ فقالوا: وما ذاك قال: أنا رسول الله، بعثني إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا، وأنزل علي الكتاب، ثم ذكر لهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن. فقال إياس بن معاذ أي قوم. هذا والله خير مما جئتم له. فيأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنة من تراب البطحاء فيضرب بها وجه إياس بن معاذ ويقول: دعنا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا. فصمت إياس. وقام رسول الله ﷺ عنهم. وانصرفوا بعد ذلك إلى المدينة. ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن تُوفِّي، ويحدث قومه أنه حين حضرته الوفاة لم يزل يهلل الله تعالى ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات، فكان ذلك مبدأ لشعور أهل المدينة بالإسلام وبصاحب الدعوة إليه، فلما كان موسم الحج حدثت الثانية وخلاصتها أن قوما من الخزرج خرجوا لزيارة بيت الله فعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن فقال بعضهم لبعض: وإنه والله للنبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه. فأجابوه إلى ما دعاهم إليه وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم وقالوا له «إنا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر مثل ما بينهم. فعسى أن يجمعهم الله بك: فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا

الدين فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك. فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ ودعوهم إلى الإسلام. ففشا فيهم حتى لم تبق دار من دور المدينة إلا وفيها ذكر من رسول الله ﷺ. حتى إذا كان الموسم من قابل حدثت الثالثة فقدم مكة اثنا عشر رجلا من أهل المدينة من بني النجار وبني زريق بن عامر وبني عوف بن الخزرج وبني سالم بن عوف وبني سلمة وبني سواد بن غنم. وكل أولئك من الخزرج وبني عبد الأشهل وبني عمرو بن عوف وهما من الأوس فكانت بينه ﷺ وبين هؤلاء النفر بيعة العقبة الأولى. بايعهم فيها على أن لا يشركوا بالله شيئًا ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم. ولا يعصونه في معروف. فإن وفوا بذلك فلهم الجنة. وإن فعلوا من ذلك شيئًا فأمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، فلما اعتزموا الانصراف إلى المدينة أرسل معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي. وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين. فكان مصعب في المدينة معلما لمن آمن بالله ورسوله. وكان مع ذلك داعية لمن لم يؤمن. فصدق في الدعوة إلى الله وأخلص في النيابة عن رسول الله. فأسلم على يديه جماعة من أهل المدينة منهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير. وهما يومئذ سيدا قومهما بني عبد الأشهل. فلما خالطت حلاوة الإيمان قلب سعد بن معاذ انطلق إلى نادى قومه فلما وقف عليهم قال ـ «يا بني عبد الأشهل. كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: ـ سيدنا. وأوصلنا. وأفضلنا رأيا. وأيمننا نقيبة. قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله. فلم يمس في دور بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا دخل الإيمان إلى قلبه. فلما كانت الحجة القابلة حدثت الرابعة وهي بيعة العقبة الكبرى التي بايع النبي فيها أهل المدينة على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأعطاهم الرسول يده على أن يقيم بين أظهرهم ولا يعود إلى الإقامة بين أهل مكة وأن أظهره الله عليهم، وعلى أن ذمته ذمتهم وحرمته حرمتهم يحارب من حاربوا ويسالم من سالموا وأعطوه العهد على أنهم وافون له على نهكة الأموال وقتل الأشراف».

وتبلغ هذه الأخبار كلها قريشا فيهولها الأمر. ويفزعها أن يجد محمد والصباة من أصحابه أعوانا في يثرب يصيبون بهم منعة إن يشاءوا. ثم يملك عليهم نواحي تفكيرهم أن يروا هؤلاء الصباة يتسللون إلى إخوانهم في يثرب. فيدعون إلى اجتماع عام في دار الندوة يتشاورن فيما يأخذون وما يدعون من أمر هذا الذي أعياهم بصبره وحسن تجلده ويجتمعون فيكون منهم ما قص الله تعالى في كتابه الكريم في الآيات التي تلوت في صدر هذا الكلام اجتمعوا ليمكروا به. واختلفوا فيما يكون منهم ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

ووقع الذي حذروه وتخوفوه منه فخرج الرسول. وترك لهم البلد الحرام وهذا الحرم الآمن الذي أمن فيه كل شيء حتى الطير ولم يأمن فيه محمد ولا أصحاب محمد على أنفسهم ولا على أموالهم وهم أحق وأولى بهذا الأمن من كل أحد لأنه ﷺ إنما جاءهم بأمن الدنيا والآخرة.

وتحق على أهل هذه القرية الظالم أهلها بإخراجهم رسول الله وصحبه من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ـ تحق عليهم من بعد ذلك كلمة العذاب. فما كان الله تعالى ليعذبهم والرسول بين ظهرانيهم ويسلط عليهم ضروبا من عذاب الدنيا أهونها عليهم أن يأذن لرسوله في أن يقتلهم ويستبيح أموالهم ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج:٣٩،٤٠]، ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:١٤،١٥]. وأشدها إيلاما لهم وحزا في نفوسهم أن تتناهى إليهم الأخبار يوما بعد يوم أن قبائل العرب تدخل في دين الله أفواجا وأن أصحاب محمد الذي أخرجوه قد صاروا جندًا كثيرًا، وما النصر إلا من عند الله.

والله من وراء القصد.

تحذير الداعية من القصص الواهية

« الحلقة الثانية والثلاثون »

بقلم / علي حشيش

الجزء الثاني

« قصة السفياني والرئيس العراقي »

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة القصة التي اشتهرت وانتشرت واغتر بها الكثير نتيجة تنزيل الأخبار التي جاءت في السفياني على الرئيس العراقي بل وصل الحد وطف الكيل عندما قال صاحب الكتاب إن أحاديث قصة السفياني متواترة ليجعل من هذا التواتر عقيدة لأهل السنة حيث كتب هذا في كتابه «البيان النبوي بانتصار العراقيين على الروم (أمريكا وبريطانيا والترك) وتدمير إسرائيل وتحرير الأقصى» الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية.

اغتر الناس بالكتاب وتأثر به صاحب كتاب «هرمجدون آخر بيان يا أمة الإسلام» كما اغتر الناس أيضا بعنوان الكتاب «البيان النبوي» وظنوا أنه بيان النبي محمد ﷺ وتوهموا أن البيان متواتر فأدحضنا بفضل الله وحده دعوى التواتر في أحاديث السفياني، وبرهنا بالقواعد العلمية الحديثية على عدم صحتها في الحلقة السابقة ونواصل تحقيق الأخبار حول قصة السفياني، ففي هذا العدد نقدم للقارئ الكريم «قصة نسب السفياني والرئيس العراقي حيث إن الكاتب في كتابه «البيان النبوي» ص (٢٠) ذكر في التطابق (١٢) مطابقة أخبار السفياني في السنة على أخبار وأحوال رئيس العراقيين المعاصرين.

قال: السفياني من نسل خالد بن يزيد بن أبي سفيان، فهو أموي وأمه كلبية، وأخواله من قبيلة كلب، وقد سكنت قبيلة كلب شمال دجلة، والمعلوم أن مدينة تكريت تقع بشمال دجلة وهي مدينة قريبة من مدينة أشور الأثرية. إذ تبين أن أكثر قبيلة كلب سكنت تكريت وشمال دجلة بعد فتح المسلمين العراق، وأكثر أتباع السفياني وقواده الذين يطمئن إليهم من قبيلة كلب أي من أهل تكريت» اهـ.

قلت: ولما كان الكتاب «البيان النبوي» مطبوعًا بتاريخ رمضان ١٤١٨هـ يناير/١٩٩٨م كما بيَّنا آنفا وصاحب كتاب «هرمجدون» مطبوع بتاريخ شعبان/١٤٢٢هـ يناير/٢٠٠١م فقد قلد الدكتور في قصة نسب السفياني. ويتبين ذلك من قوله في كتابه ص(٤٩): «والسفياني هو الذي يمتد نسبه إلى خالد بن يزيد بن أبي سفيان فهو أموي وأمه كلبية، فأخواله من قبيلة كلب وقد سكنت قبيلة كلب بشمال

دجلة والمعروف أن «صدام» من محافظة «تكريت» بشمال دجلة» اهـ.

قلت: ومن يقارن هذا النص بقول الدكتور في قصة نسب السفياني، يتبين له التقليد.

الأخبار التي استند إليها الدكتور في قصة نسب السفياني

بيّن الدكتور النصوص التي اعتمد عليها في ذكره لقصة نسب السفياني فقال: «حديث رقم (٨١٢) كتاب «الفتن» لنعيم بن حماد وكذا رقم (٨١٥)، (٨١٨)» اهـ.

قلت: وعزو الدكتور قصة نسب السفياني لنعيم بن حماد في كتابه «الفتن» دون بيان لمرتبة هذه الروايات من الصحة أو الضعف أمر بعيد كل البعد عن البحث العلمي الذي تقتضيه أصول علم الحديث دراية، حيث إننا أمام أدلة تبنى عليها الأمور الآتية من الملاحم والفتن، وهي من الأمور التي لا مجال للاجتهاد فيها، فكان لابد من التحقيق الذي تقتضيه قواعد البحث العلمي الدقيق للوقوف على مدى صحة الأدلة التي اعتمد عليها الدكتور في قصة نسب السفياني، حيث إنّ عامة القراء لا يفرقون بين التخريج والتحقيق.

فالتخريج: هو عزو الحديث إلى كتب السنة الأصلية. والتحقيق: هو بيان مرتبة الحديث من الصحة والضعف.

والدكتور اكتفى فقط بالعزو لكتاب «الفتن» لنعيم بن حماد. فيتوهم القارئ من هذا العزو الصحة خاصة وأن الدكتور قال: إنه أحد شيوخ البخاري ولقد بيّنا في الحلقة السابقة أن هذا القول في حاجة إلى تحقيق، وبيّنا حقيقة نعيم بن حماد.

التحقيق

وإلى القارئ الكريم التحقيق لهذه الأدلة التي اعتمد عليها الدكتور في قصة نسب السفياني.

الدليل الأول

قال الدكتور: «حديث رقم (٨١٢) كتاب «الفتن» لنعيم بن حماد» قلت وسأذكر الخبر بسنده لاختلاف الطبعات في الترقيم.

قال نُعيم: حدثنا عبد القدوس وغيره، عن ابن عياش، عمّن حدثه، عن محمد بن جعفر ابن علي قال: «السفياني من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان، رجل ضخم الهامة، بوجهه آثار جدري، وبعينه نكتة بيضاء، يخرج من ناحية مدينة دمشق في وادٍ يقال له وادي اليابس، يخرج في سبعة نفر، مع رجل منهم لواء معقود، يعرفون في لوائه النصر، يسيرون بين يديه على ثلاثين ميلا، لا يرى ذلك العلم أحدٌ يريده إلا انهزم».

قلت: هذا الخبر باطل ولا يصح وقد سماه الدكتور حديثا وما هو بحديث كما هو معروف عند أهل الفن فلا هو بقول النبي ﷺ ليكون مرفوعا ولا بقول صحابى ليكون موقوفا.

فهذا خبر مقطوع لم يكن من قول الرسول ﷺ وفوق ذلك أنه مسلسل بالعلل:

الأولى: فيه راو لم يسم يظهر ذلك في السند مِن عبارة: (عمَّن حدثه) وعند علماء الفن لا تُقبل روايته، وسبب رد روايته جهالة عينه لأن من أبهم اسمه جهلت عينه وجهلت عدالته من باب أولى، فلا تقبل روايته وهذا الأثر من نوع (المبهم).

الثانية: (محمد بن جعفر بن علي) هذا الاسم الثلاثي كما في طبعة دار الكتب العلمية، (١٨٩) قال الحافظ ابن حجر في «اللسان» (١١٩/٥) (٧١٣٦/٣٥١): محمد بن جعفر بن علي روى عنه أبو الحجنا محمد بن الحسين بن علي عشرة أجزاء كلها مناكير موضوعات بأسانيد صحيحة أفحش القول فيه علي بن محمد الميداني الحافظ وقال: كان يضع الحديث، ويركّب على الأئمة.

الثالثة: أنه من أوابد نعيم بن حماد.

قلت: من هذا التحليل العلمي للسند، ونسبة المتن إلى قائله يتبين أن هذا الأثر باطل لا يصلح دليلا ولا تقوم به حجة خاصة في هذا الباب؛ لأنه من الأمور الغيبية التي لا تعرف إلا بالوحي الثابت.

يتبين أيضا عدم صحة الصفات وهي:

أ ـ ضخم الهامة (كبير الرأس)

ب ـ بوجهه آثار جدري (نكت أو ندوب في وجهه).

جـ ـ بعينه نكتة بيضاء وكسل قليل.

هذه الصفات للسفياني جعلها الدكتور في كتابه «البيان النبوي» (ص٣٠). مطابقة لصفات الرئيس العراقي وقلده صاحب كتاب «هرمجدون» ص(٥٣). وجعلها من الصفات الواردة في الآثار وقال: «والمشتركة بين «السفياني» و«صدام» ومع أن الأثر باطل لم يكن السفياني فيه من جهة العراق ولكن يخرج من ناحية مدينة دمشق.

لقد سقط الأثر فبطل الاستدلال به على النسب وبطلت المشاركة في الصفات. وهذا الأثر الباطل أورده أيضا صاحب كتاب «هرمجدون» ص(٥٤).

أسباب الوضع في خبر السفياني

إن خبر السفياني الذي نسب إلى خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان زورًا وبهتانا بأحاديث موضوعه وآثار ساقطة نسجت منها قصص واهية للسفياني.

ولقد بيّن الإمام الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٥/٤٣٠/١٦٤٧) أسباب الوضع لأحاديث السفياني وما تبعها من آثار حيث قال: «خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان القرشي الأموي أبو هاشم الدمشقي، أخو عبد الرحمن بن يزيد ومعاوية بن يزيد، وأمه أم هاشم بنت أبي هاشم بن عُتبة ابن ربيعة بن شمس هو من الطبقة الثالثة من تابعي أهل الشام..

ثم ذكر الإمام المزي أن الزبير بن بكّار قال: كان ـ أي خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ـ يوصف بالعلم وبقول الشعر، قال عمّي مصعب بن عبد الله: «زعموا أنه هو الذي وضع ذكر السفياني وكثّره، وأراد أن يكون للناس فيهم مطمع حين غلبه مروان بن الحكم على الملك وتزوج أمه أم هاشم وقد كانت أمه تكني به».

الدليل الثاني

أورد الدكتور في كتابه «البيان النبوي» ص(٣٠) لإثبات قصة النسب السفياني أثرًا عزاه أيضا لنعيم بن حماد في «الفتن» رقم (٨١٥).

قال نعيم بن حماد حدثنا أبو عمر عن ابن لهيعة عن عبد الوهاب بن حسين عن محمد ابن ثابت عن أبيه عن الحارث ابن عبد الله قال: يخرج رجل من ولد سفيان في الوادي اليابس في رايات حمر، دقيق الساعدين...».

قلت: هذا الأثر سبق تحقيقه عند دحض دعوى مطابقة أوصاف السفياني على صدام وأثبتنا أن هذا أثر وليس بحديث وهو خبر تالف ومسلسل بالعلل حيث أثبتنا أن الحارث الأعور كذاب، ومحمد بن ثابت ليس بشيء متروك، وابن لهيعة: ضعيف وأبو عمر مجهول كما بيّنا.

وبهذا يتبين أن الخبر تالف لا تقوم به حجة.

ولقد أورده صاحب كتاب «هرمجدون» ص(٥٤) ولم يحققه ولم يدر أنه أثر تالف هالك.

الدليل الثالث

أورد الدكتور في كتابه «البيان النبوي» ص(٣٠) ـ لإثبات قصة النسب السفياني وتطبيقه على الرئيس العراقي ـ حديثًا عزاه أيضًا لنعيم بن حماد في «الفتن» ح(٨١٨).

قال نعيم بن حماد حدثنا بقية بن الوليد، عن الوليد بن محمد بن زيد، سمع محمد بن زيد سمع محمد بن علي يقول: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: ليفتقن رجل من ولد أبي سفيان في الإسلام فتقا لا يسده شيء» اهـ.

قلت: هذا خبر باطل للتدليس والانقطاع.

أ ـ التدليس: بقية مدلس وقد عنعن وتدليسه من شر أنواع التدليس لأنه تدليس تسوية.

ب ـ الانقطاع لأن محمد بن علي روى الحديث بلاغا وقال: بلغني.

جـ ـ وهو من أوابد ... نعيم بن حماد.

والوليد بن محمد بن زيد لا يدري من هو لعله من مشايخ بقية شبه لا شيء.

بعد هذا التحليل العلمي قد تبيّن أن قصة نسب السفياني باطلة ومحاولة تطبيقها على الرئيس العراقي باطلة أيضا.

هذا ما وفقني الله إليه، وسنواصل الرد، والله من وراء القصد.

رحمة الإسلام

بقلم
مصطفى سيد عارف

الرحمة غريزة في النفس الإنسانية أودعها الله في قلوب عباده الرحماء، وهي من الفضائل التي يدعو إليها الإسلام ويحض أتباعه على إتيانها.

والله عز وجل متصف بهذه الصفة بما يليق بأسمائه الحسنى وصفاته العلى فهو الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تعالى مئة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها وأخر الله تعالى تسعًا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة» متفق عليه.

وكان رسول اله ﷺ متصفًا بهذه الصفة، ولقد أثنى الله عز وجل عليه بذلك فقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قبل النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما وعنده الأقرع بن حابس، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «من لا يرحم لا يرحم» متفق عليه.

بل كان ﷺ يحض أصحابه على التعامل بالرحمة مع سائر المخلوقات كالدواب والبهائم لحديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض» رواه البخاري.

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه،... قالوا يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرًا؟ قال: «في كل كبد رطبة أجر» رواه البخاري.

ولقد عاتب الله عز وجل نبيًا من أنبيائه على تحريقه إحدى قرى النمل لأن نملة قرصته.

فمن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة، فأمر بجهازه فأخرج من تحتها، ثم أمر ببيتها فأحرق بالنار، فأوحي الله إليه: «فهلا نملة واحدة» [رواه البخاري].

وفي رواية لمسلم «أفي أن قرصتك نملة أهلكْتَ أمة من الأمم تسبح»؟.

فرحمته ﷺ عمت كل شيء في الكون حتى مع الأعداء في حالة الحرب، ففي غزوة مؤته زود رسول الله ﷺ الجيش بوصايا تتضمن آداب القتال في الإسلام فقد أوصى أصحابه بقوله: «أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيرًا، اغزوا باسم الله في سبيل الله من كفر بالله، لا تغدروا، ولا تقتلوا وليدًا، ولا امرأة، ولا كبيرًا فانيًا، ولا منعزلا بصومعة ولا تخربوا نخلا ولا تقطعوا شجرًا ولا تهدموا بناء وإذا لقيتم عدوكم من المشركين فادعوهم إلى إحدى ثلاث: فإما الإسلام وإما الجزية وإما الحرب...».

[المغازي ٢/٧٥٧، ٧٥٨].

والصحابة رضي الله عنهم نهجوا نهج رسولهم وتعاملوا مع كل شيء في الكون بالرحمة فقال ﷺ في أبي بكر رضي الله عنه: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر» رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني.

وصدق الشاعر حينما قال في رسول الله ﷺ.

وإذا رحمت فأنت أم أو أب
هذان في الدنيا هما الرحماء

فهذا هو جوهر الإسلام يدعو أتباعه للتعامل بالرحمة مع كل شيء، بينما نرى اليهود والأمريكان وحلفاءهم وهم يدعون أنهم يتعاملون مع كل شيء بالرحمة وأنهم ينهجون نهج التوراة والإنجيل ويتبعون رسولي الله موسى وعيسى صلى الله عليهما وسلم، والحقيقة دون ذلك، فهم يتعاملون مع العباد والبلاد بكل قسوة، والتاريخ يشهد على ذلك، والله خير الشاهدين، فالغارات الجوية التي شنت بغير وجه حق على الشعوب العربية والإسلامية تشهد على قسوتهم وأسلحة الدمار الشامل كالقنابل العنقودية المحرمة دوليًا وصواريخ توماهوك وكروز تشهد على قسوتهم، وإشعاع اليورانيوم الذي أصاب عشرات الآلاف من أطفال العراق بسرطان الجلد والدم يشهد على قسوتهم، وقتل آلاف من المدنيين العزل يشهد على قسوتهم، وتشريد الملايين عن أوطانهم يشهد على قسوتهم، والحصار الاقتصادي على شعب العراق ومنع الطعام والدواء عنهم يشهد على قسوتهم، وإن دل ذلك فإنما يدل على ظلمهم وقسوة قلوبهم، والظلم ظلمات يوم القيامة والله عز وجل حرم الظلم على نفسه وجعله محرمًا بين عباده وصدق القائل.

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا
فالظلم يرجع عقباه إلى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه
يدعو عليك وعين الله لم تنم

فبأي عتاب يعاتب اليهود والأمريكان وحلفاؤهم أمام الله عز وجل.

(فاعتبروا يا أولي الأبْصار)

والله من وراء القصد.

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م

١ - الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب. وإلى حب الله تعالى حباً صحيحًا صادقاً يتمثل فى طاعته وتقواه، وحب رسول الله ﷺ حباً صحيحاً صادقاً يتمثل فى الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

* * *

٢ - الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيَيْن - القرآن والسنة الصحيحة - ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

* * *

٣ - الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط - عقيدة وعملاً وخلقاً.

* * *

٤ - الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم والحكم بما أنزل الله فكل مُشرِّع غيره - في أي شأن من شئون الحياة - معتدٍ عليه سبحانه ، منازعٌ إياه في حقوقه.

* * *

تُلقى بدار المركز العام للجماعة محاضرات دينية مساء الأحد والأربعاء من كل أسبوع.

دعوة لنشر التوحيد عبر مجلة

التوحيد

الحمد لله وبعد:

إن وسائل الإعلام في كثير من البلدان في غالب الأحيان صارت عوامل هدم للمجتمعات. فكثير من المفاهيم الشرعية والمعرفية استطاعت وسائل الإعلام تزييفها وتغييرها، ومن هنا سارعت دول الكفر والمذاهب الهدامة إلى السيطرة على زمام تلك الوسائل لتبث من خلالها سمومها التي أشربتها كثير من القلوب فسقطت صرعى وهلكى، أو مرضى في طريق سيرها إلى الله والدار الآخرة، وكان من نتائج ذلك محاولات هدم أركان العقيدة ومحاربة الفضيلة ونشر الرذيلة والفاحشة.

فعبدت القبور وذبحت القرابين لغير الله عز وجل، وانتشر السحر والسحرة واتبعت الشهوات وكثرت المنكرات، لكن سرعان ما تنبه العقلاء من المسلمين للخطر الداهم فسارعوا إلى معالجة المرضى وإنقاذ الهلكى، فكان من جهودهم هذه المجلة الغراء - مجلة التوحيد - منبر الدعوة السلفية بمصر، والتي عملت على نشر التوحيد منذ أكثر من ثلاثين عاماً.

ومن هذا المنطلق ندعوكم أيها الأخوة - حفظكم الله - إلى نشر التوحيد عبر مجلة التوحيد بتوزيعها بالداخل؛ السنة الكاملة بـ ١٥ ريالا أو ١٥ جنيها مصرياً فقط قيمة اشتراك يُهدى إلى معلم أو واعظ يؤثر في مجتمعه، و٢٠ دولاراً قيمة اشتراك خارجي يُهدى إلى من يحتاج إلى من ينير له الطريق، فلا تحرم نفسك يا أخي من السُّنة الحسنة والأجر الجزيل.

قال ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه».

ويمكن المشاركة بدعم المجلة بعمل حوالة بنكية أو سويفت أو تلكس أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي الرئيسي - القاهرة - على حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة - وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه.

أسرة مجلة التوحيد